

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ، فَلَا هَادِي لَهُ.

وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

وبعد، فقد أرسل الله تعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الوحي، وانقطاع من الرسل ودروس من العلم، والأرض يعمها الجهل، وينجم عليها الظلم، وقد ضرب الكفر فيها أطنابه، وملا الشرك جنباها، وقل من يعتصم فيها بحق، أو يستمسك بخير، أو يتصرف بأخلاق، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أدبه رب تبارك وتعالى فأحسن تأديبه، و Zakah أعظم تركة، فجعله للبشرية مثلاً يحتذى لمكارم الأخلاق، وآية تتلى على مسامع الكون في الكمال البشري، وسراجاً منيراً يبدد ظلمات الجهل، وشمساً تنشر التوحيد في ربوع الأرض، فتغير وجه الأرض ببعثته، وتبدل ظلام الجهل بدعوته، وانتشرت الفضيلة بين الناس بحسن التأسي به صلى الله عليه وسلم؛ يقول الأديب الألماني "جوتة": (إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه "محمد"، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجده في النبي "محمد" ... وهكذا وجّب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح "محمد" الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد).

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧١، ٧٠

لا شك أن من أولى ما يجب على المسلم معرفته بعد توحيد الله تعالى معرفة رسول الله محمد صلى الله عليه، ومعرفة صفات الكريمة وشمائله الشريفة، لتحقق الأسوة التي أمرنا الله تعالى بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^١.

وقال الله تعالى: ﴿لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾^٢.

قال الفخر الرازي: نَبَّهَ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ عَلَى أَهْمَمِ عَرْفَوْنَ مِنْهُ قَبْلَ ادْعَائِهِ الرِّسَالَةَ كَوْنَهُ فِي نِهايَةِ الْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ وَغَایَةِ الْفَرَارِ مِنَ الْكَذِبِ وَالْأَخْلَاقِ الْذَّمِيمَةِ فَكَيْفَ كَذَّبُوهُ بَعْدَ أَنْ اتَّقَفَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالْأَمِينِ﴾.

قال ابن عباس: أَلَيْسَ قَدْ عَرَفُوا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَغِيرًا وَكَبِيرًا، وَعَرَفُوا نَسَبَهُ، وَصَدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَوَفَاءَهُ بِالْعُهُودِ.

وإذا كان الله تعالى قد أنكر على المشركين إعراضهم عن الإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند الله، مع معرفتهم بنسبه وصدقه وأمانته، ووفائه ومكارم أخلاقه، فمثل هذا يقال للMuslim الذي يعرض هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويخالف سنته، فيستمرئ الكذب، ويخون الأمانة، ويعذر ولا يفي بالعهد، فيقال مثل هذا: ألم تعرف رسولك صلى الله عليه وسلم؟

أكان يتصرف بشيء من تلك الصفات التي فيه؟

كيف تكذب؟ ورسولك صلى الله عليه وسلم، أصدق الناس لهجة.

وكيف تغدر؟ ورسولك صلى الله عليه وسلم، أوفي الناس ذمة.

وكيف تخون؟ ورسولك صلى الله عليه وسلم، أعظم الناس أمانة.

١ - سورة الأحزاب: الآية / ٢١

٢ - سورة المؤمنون: الآية / ٦٩

٣ - تفسير الرازي (٢٣ / ٢٨٦)

نَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا إِلَيْهِ الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْ يَوْفِقَنَا لِحَسْنِ التَّأْسِي بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يَتَقْبِلَ مِنَّا صَالِحُ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ يَحْشِرَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَحْتَ لَوْءِ حَبِيبِنَا وَأَنْ يَرْزُقَنَا شَفَاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمًا لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

سعيد بن مصطفى ديا

الأسكندرية في: ٢٠ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ

الموافق: ٢٤ / ١٢ / ٢٠٢١ م

الفصل الأول

أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ونسمة الشريف وفضائله العظيمة

جرت سنة الله تعالى ألا يبعث نبياً إلا في وسط من قومه شرفاً، ونسباً، ومحتدأ؛ كما قال هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه: سألك عن نسمة فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسول ثبعت في نسب قومها.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط الناس نسباً، وأرفعهم قدرًا، وأكرمهم محتدأ، وأفضلهم منزلة، اصطفاه الله تعالى على الناس بالرسالة، وختم به النبوة، واختصه بحملة من الخصائص لم يشاركه فيها غيره، وهذا بيان أسمائه ونسبه الشريف، وشيء من فضائله صلى الله عليه وسلم.

فعن واثلة بن الأسعق رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفى من بنى هاشم». ^١

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. واسم عبد المطلب: شيبة بن هاشم. واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف: المغيرة بن قصي، بن كلاب ابن مرة، بن كعب بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن النضر بن كنانة، بن حزيمة، بن مدركة، واسم مدركه: عامر، بن إلياس، بن مصر، ابن نزار، بن معد بن عدنان.

١ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وسلام الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم:

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي، الَّذِي يُمْحَى بِي الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسُ عَلَى عَقِّي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ».^١

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَأَنَا الْمُفَقِّي وَأَنَا الْحَاشِرُ وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ».^٢

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَمُوا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُنُوا بِكُنْيَتِي فَإِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِمًا أَقْسَمَ بَيْنَكُمْ».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٥٣٢، ومسلم - كتاب

الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٣٥٤

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٤٤٥، والترمذني في الشمائل - باب: ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٦٨، بسنده صحيح

٣ - رواه أبو يعلى - حديث رقم: ١٩٢٣، بسنده صحيح

فضائل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

لا شك أن أعظم فضل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو اصطفاء الله تعالى له بالرسالة، وثناء الله تعالى عليه في الملائاة، واتخاذه خليلاً، وأنه من أولى العزم من الرسل، وتحصيصه بالمقام الحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، ورفع الله تعالى ذكره في العالمين، وبشر الله تعالى به في الكتب السابقة، وعلى ألسنة آنبيائه ورسله عليهم السلام، وأخذ العهد والميثاق من النبيين بالإيمان به ونصرته إذا بعث، وختم الله تعالى به الرسالات، وبshireاته الشرائع، واصطفى أمته على الأمم، ورفع عنهم الإصر والأغلال التي كانت على من كان قبلهم إكراماً له صلى الله عليه وسلم، وتنويعها بمنزلته، وله من الفضائل والخصائص ما يضيق الوقت عن ذكره، ولا يتسع المقام لسرده، وقد ألف في فضائله وخصائصه جملة من العلماء، وإنما ذكرت هنا مقدمات تشير إلى سمو مكانته، وارتفاع قدره عن ربه، وعظيم منزلته عند الخلق جميعاً.

رسول الله صلى الله عليه وسلم نور يهدي الله تعالى به من يشاء من عباده:

وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور لما جعل في رسالته من النور الذي يبدد ظلمات الكفر، ويهدى من الضلال، ويضر به من العمى؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^١.

قال الطبرى: يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُه لِهُؤُلَاءِ الَّذِينَ حَاطَبُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: قَدْ جَاءَكُمْ يَا أَهْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ اللَّهِ نُورٌ، يَعْنِي بِالنُّورِ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي أَنَارَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَحَقَّ بِهِ الشَّرِيكَ فَهُوَ نُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ يُبَيِّنُ الْحَقَّ، وَمِنْ إِنَارَتِهِ الْحَقَّ تَبَيَّنَهُ لِلْيَهُودِ كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا يُحْكُمُونَ مِنَ الْكِتَابِ.^٢

١ - سورة المائدة: الآية / ١٥

٢ - «تفسير الطبرى» (٨ / ٢٦٤)

قال القرطبي: وسمى نَيَّةً نُورًا فَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءُكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. وهذا لأن الكتاب يهدى ويبيّن، وكذاك الرسول.^١

رفع الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره:

من فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى شرح له صدره ووضع عنده وزره ورفع له ذكره؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهِيرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قال: "أتاني جبريل فقال: إِنَّ رَبِّي وَرَبِّكَ يَقُولُ: كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي".^٢

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. قال: لا ذكر إلا ذكرت معى: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.^٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم خليل الله تعالى:

عن جندب رضي الله عنه قال: «سِمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا! أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ! إِنِّي أَهْأَكُمْ عَنْ ذَلِكَ».^٤

١ - الجامع لأحكام القرآن (١٢ / ٢٥٧)

٢ - سورة الشرح: الآيات / ١ - ٤

٣ - تفسير الطبرى (٢٤ / ٤٩٤)

٤ - تفسير الطبرى (٢٤ / ٤٩٤)

٥ - رواه مسلم - كتاب المساجد ومواقع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم: ٥٣٢

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّنَ:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.^١

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَئْنَيَاءِ كَرْجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لِبَنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْحُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ الْلِبَنَةِ».^٢

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ».^٣

قوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قال ذلك تحدثاً بما أنعم الله تعالى عليه من الخير العميم، واعترافاً بما امتنَ الله تعالى عليه من الفضل العظيم، ولم يقل ذلك صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفتخرًا ولا متطاولاً به على الخلق؛ فعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَحْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَحْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ، وَلَا فَحْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَحْرَ».^٤

أي: لا أقول ذلك مفاخرًا لأحد، ولا متطاولاً على أحد، بل تحدثاً بنعمة الله تعالى، وبيانًا لما أوحاه الله تعالى إلىَّ.

١ - سورة الأحزاب: الآية/ ٤٠

٢ - رواه البخاري - كتاب المغائب، باب خاتم النبيين صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٣٥٣٤، ومسلم - كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، حديث رقم: ٢٢٨٦

٣ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب تفضيل بيته صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع الخلاائق، حديث رقم: ٢٢٧٨

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب الرؤيا، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم: ٤٣٠٨

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ الْأَنْبَاءِ وَلَدُ آدَمَ»، أراد بالسيادة ما يُكرمه الله تعالى به يوم القيمة من الشفاعة العظمى حين يرغب إليه الخلائق، وأنه أكثر الرسل تبعًا يوم القيمة، وما حباه الله تعالى به من الكوثر، وأنه أول من يستفتح باب الجنة.

وخصص القيمة لارتفاع دعوى المسؤول فيها، وتسليم الكل له ذلك، وكون آدم ومن ولد تحت لوائه، كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، أى انقطعت دعاوى الدُّعَاةِ فِي الْمُلْكِ.^١

يَصْعُقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ:

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذُ بِقَائِمَةِ مِنْ قَوَاعِدِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْفَةِ الطُّورِ».^٢

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْخُلُقِ كَافَّةً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيَتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَأُحْلِثُ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلْتُ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخُلُقِ كَافَّةً، وَحُتِّمَ بِي النَّبِيُّونَ».^٣

١ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٨٢)

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَاعْدَنَا مُوسَى ثَلَاثَيْنِ لَيْلَةً وَأَمْمَنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمْ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعَيْنِ لَيْلَةً...﴾، حديث رقم: ٣٣٩٨، ومسلم - كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، حديث رقم: ٧٤٧٢

٣ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم: ٥٢٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم آتاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعْثُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرُّ بِالرُّغْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعْتُ فِي يَدِي». قال أبو هريرة: فَدَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ تَنْتَشِلُونَكُمَا.

قال النووي: هذا من أعلام النبوة فإنه إخبار يفتح هذه البلاد لأمتنا، ووقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم والله الحمد والمنة. قوله: "وَأَنْتُمْ تَنْتَشِلُونَكُمَا" يعني تستحرجون ما فيها يعني خزائن الأرض وما فتح على المسلمين من الدنيا.^٢

فضل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء، وفضل أمته على الأمم:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ»، أو قال: «أُمِّي عَلَى الْأَمْمِ، وَأَحَلَّ لَنَا الْعَنَائِمِ».^٣

دليل أفضلية رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في قوله: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ»، قوله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ...».

ودليل تفضيل أمته على الأمم قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال العلماء: ويلزم من كونهم حير أمة أن يكون رسولهم حير الرسل، وقد يقال: حيرية أمته إنما هي حيرية رسولهم.^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، كتاب المساجد ومواقع الصلاة، حديث رقم: ٥٢٣

٢ - شرح النووي على مسلم (٥ / ٥)

٣ - رواه الترمذى - أبواب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في العينية، حديث رقم: ١٥٥٣ ، بسنده صحيح

٤ - مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح (٦ / ٢٥٨٥)

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثُرُ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبَيٌ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الدِّيْنُ أُوتِيتُ وَحْيًا أُوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^١

والعلة في ذلك أن معجزات الأنبياء جميعاً انقطعت بانتهاء حياته، ومعجزة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، (القرآن الكريم) باقية إلى قيام الساعة، والتحدي بهذه المعجزة قائم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وما زال العلماء ينهلون من هذا المعين الذي لا ينضب، والمورد العذب الذي لا يتذكر، وتتجلى لهم كل يوم أمارات صدقه، ودلائل إعجازه، التي تخلب الألباب، وتدهش العقول؛ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ أَكُفَّرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وما زال الناس يدخلون في دين الله تعالى زرافات ووحدناً إذا طرقت كلمات القرآن مسامعهم، وأصغوا إليها بأذان قلوبهم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةِ قَبْرِيْنَ، فَقَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِّ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَلْدِ التَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَلْدِ التَّوْرِ الْأَحْمَرِ».^٢

١ - رواه البخاري- فضائل القرآن، كيف تزول الوحوش، وأول ما تزل، حديث رقم: ٤٩٨١، ومسلم- كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس وتشخيص الميل إلى الله، حديث رقم: ١٥٢

٢ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، حديث رقم: ٦٥٢٨، ومسلم- كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، حديث رقم: ٢٢١

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدُمْ فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: أَخْرُجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثَ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ فَعِنْدُهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَئُنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ: أَبْشِرُوكُلُّكُمْ رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَرَنَا فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَرَنَا فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَرَنَا فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَلْدِ ثَورٍ أَبْيَضَ أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءِ فِي جَلْدِ ثَورٍ أَسْوَدَ». ^١

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث رقم: ٣٤٨

صفات النبي صلى الله عليه وسلم الخلقية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلاً الحقيقة، معتدل الحقيقة، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلاً البدر، إذا سر استنار وجهه، حتى كانه قطعة قمر، مربوعاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بال أبيض الأبهق ولا بالأدم، وليس بالجعد القحط ولا بالسبط، أزهر اللون، واسع الجبين، أنجح الواجه، أسود الشعر ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، يبلغ شعره شحمة أذنه، كفه أعلى من الحرير والديباج، وريحة أطيب من ريح المسك، كث اللحية، سهل الخدين، مفلج الآستان، جل ضاحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب العمام، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، سواء البطن والصدر.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو يصف النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أبهق ولا آدم، ليس بجعد قحط ولا سبط رجل، أنزل عليه وهو ابن أربعين، فليث عمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء» قال ربيعة: «فرأيت شعراً من شعره، فإذا هو أحمر فسألت فقيل أحمر من الطيب». ^١

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهم، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم «مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في خلة حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه». قال يوسف ابن أبي إسحاق، عن أبيه: «إلى منكبيه». ^٢

وعن أبي إسحاق، قال: سئل البراء أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم، مثل السيف؟ قال: «لأ بل مثل القمر». ^٣

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٥٤٧، ومسلم - كتاب الفضائل، باب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومبتعثه، وسته، حديث رقم: ٢٣٤٧

٢ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٥٥١، ومسلم - كتاب الفضائل، باب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان أحسن الناس وجهها، حديث رقم: ٢٣٣٧

٣ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٥٥١

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، أن عبد الله بن كعب، قال: سمعت كعب بن مالك، يحدث حين تخلف عن تبوك، قال: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استئنار وجهه، حتى كان قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه». ^١

وعن أنسٍ رضي الله عنه، قال: «ما مسيست حرباً ولا ديناجاً ألينَ مِنْ كفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَيْمَتْ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحٍ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ^٢

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وحرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليده بردأ أو ريحاناً كما أخرجهما من جونة عطار». ^٣

وعن عليٍّ رضي الله عنه، قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شتن الكفرين والقديرين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس طويل المسيرة، إذا مشى تكفاً تكفاً كائناً ينحط من صبي لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم». ^٤

وعن الحسن بن عليٍّ قال: سأله حالٍ هنـد بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً، عن حـلـية النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـنـاـ أـشـتـهـيـ، أـنـ يـصـفـ لـيـ مـنـهـ شـيـئـاـ أـتـعـلـقـ بـهـ، فـقـالـ: «كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـحـمـاـ مـفـحـمـاـ يـتـلـلـأـ وـجـهـهـ تـالـلـوـ الـقـمـرـ لـيـلـةـ الـبـدـرـ، أـطـوـلـ مـنـ الـمـرـبـوـعـ، وـأـقـصـرـ مـنـ الـمـشـدـبـ، عـظـيمـ الـهـامـةـ، رـجـلـ الشـعـرـ، إـنـ اـنـفـرـقـتـ عـقـيـصـتـهـ فـرـقـ وـإـلـاـ فـلـاـ يـجـاـوزـ شـعـرـهـ شـحـمـةـ أـدـنـيـهـ، إـذـاـ هـوـ وـفـرـةـ أـزـهـرـ الـلـوـنـ، وـاسـعـ الـجـبـينـ، أـنـجـحـ الـحـواـجـبـ سـوـابـعـ فـيـ غـيـرـ قـرـنـ، بـيـنـهـمـاـ عـرـقـ يـدـرـهـ غـضـبـ، أـقـنـيـ الـعـرـنـيـنـ، لـهـ نـورـ يـعـلـمـهـ يـحـسـبـهـ مـنـ يـتـأـمـلـهـ أـشـمـ، كـثـ الـلـحـيـةـ، سـهـلـ الـحـدـيـنـ، ضـلـيـعـ الـقـمـ، أـشـنـبـ، مـفـلـجـ الـأـسـنـانـ، دـقـيقـ الـمـسـرـبـةـ، كـأـنـ عـنـقـهـ حـيـدـ دـمـيـتـ فـيـ صـفـاءـ الـفـضـةـ، مـعـتـدـلـ الـخـلـقـ، بـادـنـ

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٥٥٦

٢ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٥٦١، ومسلم - كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم ولبن مسيه والبرك بمسحه، حديث رقم: ٢٣٣٠

٣ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم ولبن مسيه والبرك بمسحه، حديث رقم: ٢٣٢٩

٤ - رواه الترمذى - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٣٦٣٧

مُتَمَاسِكَ سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ ضَحْمَ الْكَرَادِيسِ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ مَوْصُولَ مَا بَيْنَ الْلَّبَةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعْرٍ، يَجْرِي كَالْحَطَّ، عَارِيَ الثَّدَيْنِ وَالْبَطْنِ إِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرَ الدِّرَاعَيْنِ وَالْمُنْكَبَيْنِ وَأَعْالَى الصَّدْرِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبَ الرَّاحَةِ سَبْطَ الْقَصْبِ، شَنَّ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ، حُمْصَانَ الْأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ يَتْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا رَأَلَ زَالَ قُلْعًا يَخْطُو تَكَفِّيَا وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَانَمَا يَنْحَطُ مِنْ صَبَبِ، وَإِذَا التَّفَتَ جَمِيعًا حَافِضَ الْطَّرَفِ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلَامِ» فَلَمْ: صِفْ لِي مَنْطِقَهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْأَخْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السِّكَّةِ، يَفْتَنُ الْكَلَامَ وَيَخْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَصُلْ لَا فُضُولَ وَلَا تَفْصِيرَ، دَمَثَ لَيْسَ بِالْجَافِيِّ، وَلَا الْمُهِينَ يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَدْمُ مِنْهَا شَيْئًا لَا يَدْمُ دَوَاقًا، وَلَا يَمْدُحُهُ وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا مَا كَانَ لَهَا فَإِذَا ثُعُوطَيَ الْحَقَّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدُ، وَلَمْ يَقْفُ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِيهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَبْلَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَانِ بِهَا فَيَضْرُبُ بِبَاطِنِ رَاحِتِهِ الْيُمْنَى بَاطِنَ إِبْهَامِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَسَاخَ، وَإِذَا فَرَحَ غَضَ طَرْفَهُ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمِ، وَيَفْتُرُ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعَمَامِ قَالَ: فَكَتَمْتُهَا الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلَتُهُ عَنْهُ وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْحَلِهِ وَجَلِيلِهِ وَخَرْجِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدْعُ مِنْهُ شَيْئًا قَالَ الْحُسَيْنُ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: كَانَ دُخُولُه لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّا نَفْسَهُ - دُخُولِهِ - ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءُ اللَّهِ:، وَجُزْءُ لِأَهْلِهِ، وَجُزْءُ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزْءُ جَزَّةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَيُرِدُ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَةِ بِالْحَاصَّةِ فَلَا يَدْخُرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِبْشَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِدْنِهِ، وَقَسْمَةُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ دُوْ الحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ دُوْ الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ دُوْ الْحَوَائِجِ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالْأُمَّةُ عَنْ مَسَأَلَةِ عَنْهُ، وَإِحْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ: لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، وَأَبْلَغُونِي حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِعُ إِبْلَاغَهَا إِيَّايَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِعُ إِبْلَاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يُذَكِّرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَاكَ، وَلَا يَقْبِلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ يَدْخُلُونَ رُؤَادًا وَلَا يَقْتَرُفُونَ إِلَّا عَنْ دَوَاقِ وَيَخْرُجُونَ أَذْلَلَهُ قَالَ فَسَأَلَتُهُ عَنْ خَرْجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ لِسَانَهُ إِلَّا إِمَّا يَعْنِيهِمْ وَيُؤْلِفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ أَوْ قَالَ: يُنَقِّرُهُمْ، فَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوْلِيهِ عَلَيْهِمْ، وَيُحِدِّرُ

النَّاسَ، وَيَخْتَرُونَ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشَرَهُ وَلَا حُلْفَهُ، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحْسِنُ الْحَسَنَ وَيُقْوِيهِ وَيُقْبِحُ الْقَبِحَ وَيُهُنَّهُ، مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ لَا يَعْفُلُ مَحَافَةً أَنْ يَعْفُلُوا، وَيَعْلَمُوا لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ لَا يَفْصُرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجُورُهُ الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ، خِيَارُهُمْ أَفَضَلُهُمْ عِنْدُهُ، أَعْمَلُهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدُهُ مَنْتَلَةً أَحْسَنُهُمْ مُؤَاسَةً وَمُؤَازَّةً فَسَأَلَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ لَا يُوْطِئُ الْأَمَاكِنَ وَيَنْهَا عَنْ إِيَاطِاهَا وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيُعْطِي كُلَّ جُلُسَائِهِ بِنَصِيبِهِ لَا يَحْسِبُ جَلِيلُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ مِنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابِرَهُ حَقِّيَ يَكُونُ هُوَ الْمُنْصَرِفُ وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا إِلَيْهَا أَوْ يُمْسِيَهُ مِنَ الْقَوْلِ قَدْ وَسَعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَحُلْفُهُ فَصَارَ لَهُمْ أَبَا، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حَلْمٍ وَحَيَاءً وَصَبَرٍ وَأَمَانَةً، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْتَيْ فِيهِ الْحُرُمُ، وَلَا تُنْشَى فَلَتَاثَةُ مُتَعَادِلِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالْتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ وَيُؤْتَرُونَ ذَوَيَ الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ قَالَ قُلْتُ كَيْفَ كَانَ سِيرُهُ فِي جُلُسَائِهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيْنَ الْجَانِبِ لَيْسَ بِقَظِيْلٍ وَلَا غَلِيْظٍ وَلَا صَحَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَاحٍ يَتَعَافَّ عَمَّا لَا يَشْتَهِي وَلَا يُؤْتَسُ مِنْهُ وَلَا يَخِبِّ فِيهِ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ الْمِرَاءِ وَالْإِكْتَارِ وَمِمَّا لَا يَعْنِيهِ وَتَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ كَانَ لَا يَنْدِمُ أَحَدًا وَلَا يُعِيْرُهُ وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلُسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا وَلَا يَسْنَازُونَ عِنْدَهُ مِنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَقِّيَ يَقْرَعُ حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوْلَيْتُهُمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصِيرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجُفُوةِ مِنْ مَنْطِقَهِ وَمَسَائِلِهِ، حَقِّي إِذَا كَانَ أَصْحَابَهُ لَيْسْتَجْلِيلُوكُمْ، وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْشَدُوهُ، وَلَا يَقْبِلُ الشَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِي، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَقِّي يُجُورُهُ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ. قَالَ: كَيْفَ كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَرْبَعَ: عَلَى الْحَلْمِ وَالْحَذَرِ وَالتَّعْدِيرِ، وَالْتَّفَكُرِ فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَتِهِ النَّظَرِ وَالإِسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَذَكُّرُهُ، أَوْ قَالَ تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيُنْقَى، وَجَمِيعُ لَهُ الْحَلْمُ فِي الصَّبَرِ، فَكَانَ لَا يُوصِيُهُ يُبْغِضُهُ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَفْرُهُ، وَجَمِيعُ لَهُ الْحَذَرُ فِي أَرْبَعَ: أَحَدُهُ بِالْحُسْنَى لِيُقْتَدِي

بِهِ، وَتَرْكُهُ الْقِبِيحُ لِيَتَنَاهِي عَنْهُ، وَابْتَهَادُ الرَّأْيِ فِي مَا أَصْلَحَ أُمَّةَهُ، وَالْقِيَامُ فِيمَا جُمِعَ هُمْ مِنْ أَمْرٍ
الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ".^١

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٤١٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان - حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصل في خلق
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلق، حديث رقم: ١٣٦٢

الفَصْلُ الثَّانِي

شَمَائِلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتُهُ الْخَلْقِيَّةُ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقَى النَّاسَ وَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .^١

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .^٢

من تقوى الله الوقوف عند حدود الشرع:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَى النَّاسِ وَأَتَقَاهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى، وكان يَصُومُ وَيُفْطِرُ، وَيُصَلِّي وَيَرْفُدُ، وَيَتَرَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهَطٌ إِلَى بُيُوتِ أَرْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَانُوكُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَخْدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلَّى اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَرَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَحْشَأُكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاهُمْ لَهُ، لَكُمْ أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَرَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنْنَتِي فَلَيَسْ مِنِّي».^٣

قال الحافظ ابن حجر: قوله: «فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْنَتِي فَلَيَسْ مِنِّي»، المُرَادُ بِالسُّنْنَةِ الطَّرِيقَةُ لَا الَّتِي تُقَابِلُ الْفَرْضَ، وَالرَّاعِبَةُ عَنِ الشَّيْءِ الْإِعْرَاضُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْمُرَادُ: مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِي وَأَخْذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِي فَلَيَسْ مِنِّي، وَلَمَّا حَدَّدَ بِذَلِكَ إِلَى طَرِيقِ الرَّهْبَانِيَّةِ فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا التَّشْدِيدَ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ عَابُوهُمْ بِأَكْثَرِ مَا وَفَوَهُمُ التَّزْمُونَ، وَطَرِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَنِيفَيَّةُ السَّمْحَةُ، فَيُفْطِرُ لِيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْمَ، وَيَنَامُ لِيَتَقَوَّى عَلَى الْقِيَامِ، وَيَتَرَوَّجُ لِكَسْرِ الشَّهْوَةِ وَإِعْفَافِ النَّفْسِ

١ - سُورَةُ الرُّمْرِ: الآية / ١٣

٢ - سُورَةُ الْأَحْقَافِ: الآية / ٩

٣ - رواه البخاري - كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم: ٥٠٦٣، ومسلم - كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسم إلينه، ووَجَدَ مُؤْمَنَةً، وَشَيْعَالَ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤْمَنِ بِالصَّوْمِ، حديث رقم: ١٤٠١

وَتَكْثِيرُ النَّسْلِ، وَقَوْلُهُ: «فَلَيْسَ مِنِّي» إِنْ كَانَتِ الرَّعْبَةُ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ يُعَدِّرُ صَاحِبَهُ فِيهِ، فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّي أَيْ: عَلَى طَرِيقِي، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْمِلَةِ، وَإِنْ كَانَ إِعْرَاضًا وَتَنَطَّعًا يُفْضِي إِلَى اعْتِقادِ أَرْجَحِيَّةِ عَمَلِهِ فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّي لَيْسَ عَلَى مِلَّتِي؛ لِأَنَّ اعْتِقادَ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْكُفْرِ.^١

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمْرَهُمْ، أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ إِمَّا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسَنَا كَهْيَنِيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَعْضُبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا».^٢

قال ابن رجب: فكونه أتقاهم لله يتضمن شدة اجتهاده في خصال التقوى وهو العمل، وكونه أعلمهم به يتضمن أن علمه بالله أفضل من علمهم بالله وإنما زاد علمه بالله لمعنىين: أحدهما: زيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وعظمته وكبرياته وما يستحقه من الجلال والإكرام والإعظام.

والثاني: أن علمه بالله مستند إلى عين اليقين، فإنه رآه إما بعين بصره أو بعين بصيرته، كما قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: رآه بفؤاده مرتين، وعلمه به مستند إلى علم يقين، وبين المرتين تباهي، ولهذا سأله إبراهيم عليه السلام ربه أن يرقيه من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين بالنسبة إلى رؤية إحياء الموتى.^٣

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِيهِ، وَهِيَ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنْبٌ، أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنْبٌ فَأَصُومُ» فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «وَاللَّهُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ إِمَّا أَتَقَيِّ».^٤

١ - فتح الباري لابن حجر (١٠٥ / ٩)

٢ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ». وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ، حديث رقم: ٢٠

٣ - فتح الباري لابن رجب (٨٩ / ١)

٤ - رواه مسلم - كتاب الصيام، باب صحة صوم ممن طلع عليه الفجر وهو جنوب، حديث رقم: ١١١٠

قول الرَّجُلِ «لَسْتَ مِثْنَا قَدْ غُفرَ لَكَ مَا تَعَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخِرَ»، وَإِنْ كَانَ عَلَى مَعْنَى شِدَّةِ الإِشْفَاقِ وَكُثْرَةِ الْحُوْفِ وَالْتَّوْقِيِّ إِلَّا أَنَّ ظَاهِرَهُ يَقْتَضِي أَنْ يَعْتَقِدَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتِكَابَ مَا شَاءَ مِنْ الْمَحْظُورِ الْمُحَرَّمِ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُحِلَّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ فَأَتَى هَذَا الْلَّفْظُ الَّذِي ظَاهِرُهُ أَشَدُّ مِنْ مُرَادِهِ.^١

قلت: الصواب أن يحمل كلامه على أنه أراد أن الله تعالى يُحِلَّ لرسوله ما شاء؛ لحديث أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: قَالَتْ: فَذَهَبَتِ إِلَى زَوْجِهَا فَأَخْبَرْتُهُ. فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا، وَقَالَ: لَسْنَا مِثْنَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْسَأْكُمْ لِلَّهِ»، هَذِهِ الْحَسْنِيَّةُ حَسْنِيَّةٌ هَبْيَةٌ وَإِجْلَالٌ لَا حَسْنِيَّةَ تَوْقُعُ مَكْرُوهٍ، قَالَهُ الشَّيْخُ وَلِيُّ اللَّهِ الدَّهْلَوِيُّ.^٢

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلًا قَبَّلَ امْرَأَتَهُ وَهُوَ صَائِمٌ فِي رَمَضَانَ، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ وَجْدًا شَدِيدًا فَأَرْسَلَ امْرَأَتَهُ تَسْأَلُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ. فَدَخَلَتْ عَلَى أُمِّ سَلَّمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهَا. فَأَخْبَرَتْهَا أُمِّ سَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُقْبَلُ وَهُوَ صَائِمٌ». فَرَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا بِذَلِكَ. فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا. وَقَالَ: لَسْنَا مِثْنَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُ يُحِلُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ. ثُمَّ رَجَعَتِ امْرَأَتُهُ إِلَى أُمِّ سَلَّمَةَ فَوَجَدَتْ عِنْدَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذِهِ الْمَرَأَةُ؟» فَأَخْبَرَتْهُ أُمِّ سَلَّمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَخْبَرْتِهَا أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ»، فَقَالَتْ: قَدْ أَخْبَرْتُهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى زَوْجِهَا فَأَخْبَرَتْهُ. فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا، وَقَالَ: لَسْنَا مِثْنَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللَّهُ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: وَاللَّهِ، «إِنِّي لَأَنْقَاعُكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِمُحْدُودِهِ».^٣

١ - المنتقى شرح الموطأ (٤٣ / ٢)

٢ - سيفاني تحريره قريباً.

٣ - عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٤ / ٧)

٤ - رواه مالك - كتاب الصيام، باب ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم، حديث رقم: ١٣

فِيهِ تَبِيَّنَةً عَلَى الْإِخْبَارِ بِأَعْوَالِهِ، وَجَبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُخْبِرُنَّ بِهَا لِيَقْتَدِيَ بِهِ النَّاسُ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَادْكُرُنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، قَالَهُ الْبَاجِيُّ^١.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وَهُوَ سِيدُ الْمُتَّقِينَ، فَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ بِأَجْوَبَةٍ ثَلَاثَةً: أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَرَادَ بِذَلِكَ الْاسْتِدَامَةِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوِيَّةِ.

الثَّالِثُ: الْأَمْرُ بِالتَّقْوِيَّةِ لِلْإِكْتَارِ وَالزِّيَادَةِ مِنْهَا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ خَطَابٌ وُجْهَهُ إِلَيْهِ، وَالْمَرَادُ بِهِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِمَّا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢] لَمْ يَقُلْ: بِمَا تَعْمَلُ.

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: الْأَمْرُ بِالشَّيْءِ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِ اشْتِغَالِ الْمَأْمُورِ بِالْمَأْمُورِ بِهِ إِذْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَالَ لِلْجَالِسِ اجْلِسْ وَلِلْسَّاكِتِ اسْكُنْ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُتَّقِيًّا فَمَا الْوَجْهُ فِيهِ؟ نَفْوُلُ فِيهِ وَجْهَهُنَّ: أَحَدُهُمَا: مُنْفُولٌ وَهُوَ أَنَّهُ أَمْرٌ بِالْمُدَاؤَةِ فَإِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ لِلْجَالِسِ اجْلِسْ هاهُنَا إِلَى أَنْ أَجِئَنَّكَ، وَيَقُولُ الْقَائِلُ لِلْسَّاكِتِ قَدْ أَصَبْتَ فَاسْكُنْ تَسْلَمْ، أَيْ دُمْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَالثَّالِثُ: وَهُوَ مَعْقُولٌ لَطِيفٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ يَتَّقِي مِنْهُ عِبَادُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ بَعْضُهُمْ يَخَافُ مِنْ عِقَابِهِ وَبَعْضُهُمْ يَخَافُ مِنْ قَطْعِ ثَوَابِهِ وَثَالِثُ يَخَافُ مِنْ احْتِيجَابِهِ فَالنَّبِيُّ مَمْ يُؤْمِنُ بِالتَّقْوِيَّةِ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَلَا بِالْمَعْنَى الثَّالِثِ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَالْمُحْلِصُ لَا يَأْمُنُهُ مَادَامُ فِي الدُّنْيَا.^٢

الورع الكاذبُ:

مِنَ الورع الكاذب أن يتورع المرء بما يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أعلم الناس بِاللهِ، وَأَشَدُهُمْ لَهُ حَشْيَةً؛ عَنْ مَسْرُوقٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَرَحَّصَ فِيهِ،

١ - شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٤٠)

٢ - تفسير الرازبي (٢٥/١٥٣)

فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُهُمْ لَهُ حَشْيَةً».^١

وَمِنَ الورعِ الْكاذبِ أَنْ يَظْنُنَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ مَا كَانَ يَكْفِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْفِيهِ، وَمَا كَانَ يَسْعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْعُهُ؛ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: قَالَ لِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَتَانِي أَبْنُ عَمِّكَ يُعَرِّضُ بِالْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبْنِ الْحَنَفِيَّةِ. قَالَ: كَيْفَ الْعُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ؟ فَقُلْتُ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ ثَلَاثَةَ أَكْفَافٍ وَيُفِيضُهَا عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ» فَقَالَ لِي الْحَسَنُ إِنِّي رَجُلٌ كَثِيرُ الشَّعْرِ، فَقُلْتُ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْكَ شَعْرًا».^٢

١ - رواه البخاري - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يُكره من التعمق والتناغم في العلم، والغلط في الدين والبدع، حديث رقم: ٧٣٠١، ومسلم - كتاب الفضائل، باب علميه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةُ حَشْيِهِ، حديث رقم: ٢٣٥٦

٢ - رواه البخاري - كتاب العسل، باب من أفضى على رأسه ثلاثة، حديث رقم: ٢٥٦

مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّحْمَةُ:

تَعْرِيفُ الرَّحْمَةِ:

الرَّحْمَةُ: رَقَّةٌ تَقْتَضِيُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ.

قال الراغب الأصبهاني: الرَّحْمَةُ رَقَّةٌ تَقْتَضِيُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وقد تُسْتَعْمَلُ تارَةً في الرَّقَّةِ المجرَّدةِ، وتارَةً في الإِحْسَانِ المجرَّدِ عن الرَّقَّةِ، نحو: رَحِمَ اللَّهُ فلاناً. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إِلَّا الإِحْسَانُ المجرَّدُ دون الرَّقَّةِ، وعلى هذا رويَ أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ إِنْعَامٌ وِإِفْضَالٌ، وَمِنَ الْأَدْمَيْنِ رَقَّةٌ وَتَعَطَّفَ.^١

وقال ابن فارس: الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدْلُلُ عَلَى الرَّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحْمَةٌ يُرِحْمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ. وَالرَّحْمُ وَالرَّحْمَةُ وَالرَّاهْمَةُ بِمَعْنَىٰ . وَالرَّحْمُ: عَلَاقَةُ الْقَرَابَةِ، ثُمَّ سُمِّيَتْ رَحْمُ الْأُنْثَى رَحْمًا مِنْ هَذَا، لِأَنَّ مِنْهَا مَا يَكُونُ مَا يُرِحْمُ وَيُرِقُّ لَهُ مِنْ وَلَدٍ.^٢

الرَّحْمَةُ صِفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مهما تواردت على ذهنك صور الرحمة، ومهما سرحت بخيльтك تستحضر خواطر الرحمة، فلن تدرك تلك الرحمة التي كان يتصف بها خاتم المرسلين محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَنَّ لك أن تخيل تلك الصفة، أو تدرك كنه ذلك الخلق، وبينه وبين ما عهدناه من صور الرحمة بوتاً شاسعاً، وشاؤاً بعيداً؟ فهو أرحم من الوالدة الرؤوم بولدها الصغير، أتتها بعد لأبي، أو وجدته بعد فقدِ، رحمة لا يكاد ينقضي منها العجبُ، وسعت العالمين جيغاً، ولم يخص بها أحداً دون أحدٍ، رحمة للمؤمنين ورحمة للبشرية جماء، ورحمة للجن، ورحمة للبهائم العجماء، ورحمة للطير في وُكُنَاتِها، وإياك أن تظن أني قد حدت عن الجادة في قولي، أو ركبت جناح الشطط في كلامي، وما عسى أن يبلغ قولي وهو يتغثر على الشري، وشمائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعانق الشري، ألم تسمع قول الله تعالى - ومن أصدق من الله قيلاً - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾؟^٣

١ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٤٧)

٢ - مقاييس اللغة (٤٩٨ / ٢)

٣ - سورة الأنبياء: الآية/ ١٠٧

ولفظ العالمين عام يشمل كل العالم، ما علمنا منها وما لم نعلم، جعل الله تعالى تلك الرحمة العامة علة إرسال خير رسليه، وأكرم خلقه صلى الله عليه وسلم.

تلك الرحمة التي خصّ الله تعالى بها حتى ملأت قلبه، وفاضت على جوارحه، فلان من غير ضعف، ورق من غير هوان، فأحسن لكل من خالطه غاية الإحسان؛ كما قال تعالى: **﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِيُنْتَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**.

وكما اصطفاه الله تعالى فجعله خاتم النبيين، اصطفاه بكمال الأخلاق، وصفوة الشمائل والصفات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُنْهِمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

ثم جعله الله تعالى رحمة خاصة بالمؤمنين؛ قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**.

فأمره الله تعالى برحمة المؤمنين خاصة، وأن يلين لهم جانبه، ويختض لهم جناحه؛ قال الله تعالى: **﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.

وكرر الأمر له تنويعاً بفضله، ومنة على المؤمنين وتفضلاً؛ قال تعالى: **﴿لَا تَمُدَّنَ عَيْنِيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**.

وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحقيقة مراراً؛ وأكده عليها تكراراً تعليماً لأصحابه، وحثّا لهم على الاقتداء به في ذلك الخلق العظيم، وتلك الصفة الكريمة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركيين قال: «إِنِّي لَمْ أُبَعِّثْ لَعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٥٩

٢ - رواه مالك في الموطأ - كتاب حُسْنِ الْخُلُقِ، باب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٨، وأحمد - حديث رقم: ٨٩٥٢، والحاكم - كتاب تَوَارِيخُ الْمُتَفَقِّدِينَ مِنَ الْأَئْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، حديث رقم: ٤٢٢١، والبخاري في الأدب المفرد - باب حُسْنِ الْخُلُقِ، حديث رقم: ٢٧٣

٣ - سورة التوبه: الآية / ١٢٨

٤ - سورة الشوراء: الآية / ٢١٥

٥ - سورة الحجـر: الآية / ٨٨

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأيها الناس إنما أنا رحمة مهدأة».^١

قال القرطبي رحمه الله: فالرسول حلقوا للرحمه، و Muhammad صلى الله عليه وسلم حلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أماناً للخلق، لـما بعنه الله أمن الخلق العذاب إلى نفحة الصور، وسائر الأنبياء لم يحلوا هذا المحل، ولذلك قال عليه السلام: (أنا رحمة مهدأة). يخبر الله بنفسه رحمة للخلق من الله، وقوله (مهدأة) أي هدية من الله للخلق.^٢

وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الحسق والغرق.^٣

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد وأحمد والمفقي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة».^٤

وفي رواية: «ونبى الملجمة».

قوله: «أنا محمد» أي: محمود الخلق والخلق. «وأحمد»، أي: وأنا أحمد الخلق لربه. «المفقي» بصيغة اسم الفاعل أي المتبع من قبله من الأنبياء في الاعتقاد، «والحاشر» أي: الذي يحشر الناس بعده إلى القيمة؛ ودليل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت أنا والساعة كھائين».^٥

وقوله: «ونبى التوبة»، أي: المبعوث بقبول توبة من تابعني، والذي تکثر التوبة في أمته.

٦ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: ٤٨١٠

١ - رواه الحاكم - كتاب الإيمان، حديث رقم: ٩٧ وصححه، رواه الشهاب القضاوي - إنما أنا رحمة مهدأة، حديث رقم:

١٠٧٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في حدب النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ورفاته، حديث رقم: ١٤٢٤

٢ - تفسير القرطبي (٤ / ٦٣)

٣ - تفسير القرطبي (١١ / ٣٥٠)

٤ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب في أسمائه رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٤٤٨

٥ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٨٥٠ ، والطبراني، حديث رقم: ٢٧٦٩ ، بسنده صحيح

٦ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كھائين»، حديث رقم: ٦٥٠٤ ،

ومسلم - كتاب الفتن وأشرطة الساعة، باب قرب الساعة، حديث رقم: ٢٩٥١

«وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»، أي: الترفق والتحنن على الأمة واللطف بها، وقد أعطي منها ما لم يعط أحد من العالمين.

«وَنَبِيُّ الْمُلْحَمَةِ»، أي: الحرب سمى به لحرصه على الجهاد.^۱

۱ - التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٣٧٧)

من صور رحمة النبي صلى الله عليه وسلم:

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَتِّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .^١

يمتن الله تعالى على المؤمنين ببعثة رسوله صلى الله عليه وسلم، بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: تعرفون أصله ونسبه، ولا يخفى عليكم حاله، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾، أي: ما فيه مشقتكم، وأن تدخلوا النار، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، أن تؤمنوا لتدخلوا الجنة، بالغ الرأفة والشفقة، عظيم الرحمة بالمؤمنين.

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، بالمؤمنين ما ثبت عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَقُولُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِّيِّ فَأَجْتَوِرُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَّةً أَنْ أَشْقَى عَلَى أُمِّهِ».^٢

وهذا من بالغ رحمته، وشدّة شفتيه صلى الله عليه وسلم على أهل الإيمان، أن يشعر بشعور الأم إذا بكى طفلاً فيرق لها، ويتجاوز في الصلاة على ما لها من الأهمية في دين الله تعالى، رحمة بتلك الأم التي يبكي صبيها.

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم، بالمؤمنين ترك الأمر بكل ما يشق على أمته، ومن ذلك الأمر بالسواء حتى لا يأثم من ترك السواك عند كل صلاة لم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولك أرشد إليه لما فيه من الفضل والأجر؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى النَّاسِ لَأَمْرُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ».^٣

ومن ذلك ترك الخروج إلى الجهاد مع السرايا، رفعاً للحرج عن فقراء أمته، والمستضعفين منهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمْرُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ».

١ - سورة التوبة: الآية / ١٢٨

٢ - رواه البخاري - كتاب الأذان، أبواب صلاة الجمعة والإمامية، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، حديث رقم: ٦٨٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٦١، ورواه مسلم - كتاب الطهارة، باب السواك، حديث رقم: ٣٩٦

تخلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةِ وَلَكِنْ لَا أَجِدُ حَمْوَةً وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمَلُهُمْ عَلَيْهِ وَيَسْقُى عَلَيَّ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَيْنِي
وَلَوْدَدْتُ أَنِّي قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلْتُ ثُمَّ أُخْبِيْتُ ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ أُخْبِيْتُ».^١

ولو فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما وسع أحد القعود بعده عن الغزو، ولتأميم الجميع بتحلفهم، فأرد أن يرفع الحرج عن الأمة جماء من يمكنه الخروج، ومن لا يمكنه الخروج.

ومن ذلك إقامة صلاة العشاء في أول وقتها، وإن كان تأخيرها إلى نصف الليل أفضل، لكن فيه مشقة على غالب المؤمنين؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أعتم النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى ذهب عامدة الليل وحتى نام أهل المسجد ثم خرج فصلّى فقال: «إنه لو قتها لولا أن أشق على أمتي».^٢

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم، بالمؤمنين تفقد أصحابه، ومراعاة مشاعرهم وخلجات نفوسهم، وإدراكه بما يعتمل في صدورهم، وارشادهم إلى من يخفف عنهم؛ فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شيبة متقاربون، فاقمنا عنده عشرین ليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا رقيقاً، فظننا أننا قد اشتقتنا أهلنا، فسألنا عن من تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فاقيموا فيهم وعلموهم، ومرؤهم فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم، ثم ليؤمكم أكبركم».^٣

فمن رحمته صلى الله عليه وسلم، سؤاله عن أحوال أصحابه وعمن تركوه وراءهم من الأهل، قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه: فسألنا عن من تركنا من أهلنا، وما رأى أنهم قد اشتاقتوا لهم أمرهم بالرجوع، وحثهم على تعليمهم دين الله تعالى.

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بال المسلمين تحذيرهم من السؤال عما لم يحرم، ليظلوا في سعة من أمرهم، ولا يتحرجو بالوقوع في الحرام؛ فعن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله

١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب تبني الشهادة، حديث رقم: ٢٦٦٣

٢ - رواه مسلم - كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها، حديث رقم: ١٠٤٣، ورواية البخاري - كتاب مواقف الصلاة، باب النوم قبل العشاء لمن غلب، حديث رقم: ٥٥٥، عن ابن عمر بمعناه.

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٦٩، ومسلم - كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب من أحق بالإمام، حديث رقم: ١١١٥

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحْرِمْ، فَحُرِمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».^١

وهذه حادثة تبين مدى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، يطيب خاطر ما آذاه ويتحلل منه على ضربة بالسوط ضربه بها من شدة الألم لما وطء على رجله بنعله كثيفة؛ فعن عبد الله بن أبي بكر، عن رجل مِنَ الْعَرَبِ قَالَ: زَحْمَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْنٍ وَفِي رِجْلِي نَعْلٌ كَثِيفَةٌ، فَوَطَغْتُ إِلَيْهَا عَلَى رِجْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَفَخْنِي نَفْحَةً بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي»، قَالَ: فَبِتُّ لِنَفْسِي لَائِمًا أَفُوْلُ: أَوْجَعْتُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: أَيْنَ فُلَانُ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهُ الَّذِي كَانَ مِنِّي بِالْأَمْسِ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مُتَحَوِّفٌ، فَقَالَ لِي الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ وَطَئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي، فَنَفَخْتُكَ نَفْحَةً بِالسَّوْطِ، فَهَذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً، فَحُذْنَهَا إِلَيْكَ».^٢

رَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصِّغارِ:

أما رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالصغار فقد كانت آية تغير بها وجه جزيرة العرب، وتغيرت بها أخلاقهم فقد كانوا يرون ذلك ضعفاً يتنهون عنه، وسفهاً يتحاشونه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حabis أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقْبِلُ الْحَسَنَ فَقَالَ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يذكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، حديث رقم: ٧٢٨٩، ومسلم - كتاب الفضائل، باب توثيقه صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار سؤاله عمما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلّق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك، حديث رقم: ٢٣٥٨.

٢ - رواه الدارمي - باب في سخاء النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٧٣، وصححه الألباني

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: ٥٦٥٨، ورواه مسلم - كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعياال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: ٤٣٨٤

بل كان يفتخرن بقسوة القلوب، وغلظ الأكباد حتى على الصغار، فيقول قائلهم:

يُبَكِّي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ ... لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبْلِ

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالْعِيَالِ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مُسْتَرْضَعٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنَانًا، وَكُنَّا نَأْتِيهِ، وَقَدْ دَحَنَ الْبَيْتُ بِإِذْخِرٍ، فَيُقِبِّلُهُ وَيَشْمُمُهُ». ^١

في رواية: «في عوالي المدينة»، وهي: القرى التي عنـدـ المدينة.

«وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنَانًا» أي: وَكَانَ زوج مرضعته حَدَادًا، وَهُوَ أَبُو سَمِينٍ وَاسْمُهُ الْبَرَاءُ بْنُ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِكُنْتِيهِ، وَعَلَهُ أَنَّهُ يَجْدُ الْبَيْتَ قَدْ دُحِنَ بِإِذْخِرٍ هُوَ كُونُ ظِئْرِهِ حَدَادًا.

وَالظِّئْرُ يَطْلُقُ عَلَى وَلَدِ الْمُرْضَعِ وَرَوْجَهَا، وَيَقَالُ لِلذَّكْرِ: ظِئْرٌ وَلِلْأُنْثَى ظِئْرٌ.

وَمِنْ رَحْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَمْرَأَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهَةً وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَقَوَّى اللَّهُ، وَلَا يَعْدِرُهُ، وَلَا يُمْثِلُوا بِأَعْدَائِهِمْ، وَلَا يَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَفْتُولَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَعَازِي فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبِيَّانِ وَالْأَجْرَاءِ الَّذِينَ لَا شَانَ لَهُمْ بِالْقَتَالِ.^٢

وروى الإمام أحمد عن أبي الرثاء، قال: حدثني المرقع بن صيفي، عن جده رياح بن الربيع، أخي حنظللة الكاتب، أمه أخبره: أمه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما، وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رياح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة، مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها، ويتعجبون من حلقها، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحته، فانصرخوا عنها، فوقف علىها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما كانت هذه لتنقاتل» فقال لأحدهم: «الحق خالدا فقل له: لا تقتلوا ذريته، ولا عسيفا».^٣

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب رحمة العيال، حديث رقم: ٣٧٦، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، حديث رقم: ٢٨٧٣، ورواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، حديث رقم: ٣٣٦٧

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٩٩٢، وابن ماجه - كتاب الجهاد، باب الغارة، والبيات، وقتل النساء، والصبيان، حديث رقم: ٢٨٤٢، والنمساني في السنن الكبرى - كتاب السير، قتل العسيف، حديث رقم: ٨٥٧٢، بسنده صحيح

وعن سليمان بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية، أو صاحب في حاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين حيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، فاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا، ولا تفتنوا وليدأ».^١

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية قال: «لا تقتلوا وليدا».^٢

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يوصي باليتيم والمرأة، ويحذر تحذيراً شديداً من ظلمهما، والتعدي على حقوقهما؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة».^٣

التحريم: التضيق؛ أي: أضيق على الناس في هذا الإثم أن يضيق حق اليتيم والمرأة بينهم وأحرمه، وأحذر من ظلمهما تحذيراً يليغاً، وأرجو عنه رجراً أكيداً.

بكاء النبي صلى الله عليه وسلم عند احتضار صبي:

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بكاؤه عند احتضار صبي بين يديه؛ فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهمَا، قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه إن ابناً لي قُبِضَ، فأرسل يُقْرِئُ السلام، ويقول: «إن الله ما أخذ، ولم ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتتصبر، ولتحتسِب»، فأرسلت إليه تقيس عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبدة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقدفع كأنما شئ ففاقت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعثة، حديث رقم: ٣٣٤٨

٢ - رواه ابن أبي شيبة - كتاب السير، من ينهى عن قتله في دار الحرب، حديث رقم: ٣٣١٣٦

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٦، وابن ماجه - كتاب الأدب، باب حق اليتيم، حديث رقم: ٣٦٧٨

٤ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يذب الميت"، حديث رقم: ١٢٣٧، ورواه مسلم - كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، حديث رقم: ١٥٨٢

قال النووي رحمه الله: معناه أن سعداً ظنَّ أنَّ جمِيعَ أَنواعِ البُكاءِ حَرَامٌ، وَأَنَّ دَمْعَ العَيْنِ حَرَامٌ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسِيَ فَدَكَرَهُ، فَأَعْلَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مُجَرَّدَ البُكاءِ وَدَمْعَ بَعْيَنِ لَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، بل هُوَ رَحْمَةٌ وَفَضْيَلَةٌ، وَإِنَّمَا الْمُحَرَّمُ التَّوْحُ وَالنَّذْبُ وَالبُكاءُ الْمَقْرُونُ كِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا.^١

وقال القسطلاني: قول سعد بن عبادة رضي الله عنه: (ما هذا يا رسول الله) يعني: ما هذا البكاء وأنت تنهى عنه؟ وهو استفهام عن الحكمة لا استفهام إنكار.^٢
قوله: (وَنَفْسُ الصَّيِّ تَقْعُفُ) أي: تضطر ويسمع لها صوت.

رَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَيَوَانِ:

لم تقتصر رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المؤمنين فقط، ولا على البشر فقط حتى تعدت ذلك إلى البهائم العجماء، فقد سبق الإسلام كل نظام يأمر بالرفق بالحيوان، وينهى عن تعذيبه بأي سبيل؛ فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلفه ذات يوم فأسر إلى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس وكان أحبت ما استتر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاجته هدفاً أو حائش نخل. قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسح ذفراه فسكت فقال: «من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «أفلا تتقوى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إليها فإن شركى إلى أنك تحيطه وتدعه». ^٣

قال الخطابي: الهدف كل ما كان له شخص مرتفع من بناء وغيره، وقد استهدف لك الشيء إذا قام وانتصب لك، والحايش جماعة النخل الصغار لا واحد له من لفظه، والذفري من البعير مؤخر رأسه وهو الموضع الذي يعرق من قفاه.

١ - شرح النووي على مسلم (٦/٢٢٥)

٢ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/٣٨٢)

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٦٩٧، وأبو داود - كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث رقم: ٢١٩٩، بسنده صحيح

وقوله تدئبه يريد تكده وتتبعه.^١

وفي هذا الحديث من كمال شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشدة رأفته، وعظيم رحمته بالحيوان، حين بكى هذا الجمل وشكى إليه ما يفعله به صاحبه، فمسحَ ذِفْرَاهُ، ووصي صاحبه بالإحسان إليه، والرفق به.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُنَاسٍ وَهُمْ يَرْمُونَ كَبْشًا بِالنَّبْلِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ: «لَا تَمْثُلُوا بِالْبَهَائِمِ».^٢

أي: لا يجعلوها مَثَلَةً، ويُقال: مَثَلٌ بِهِ، إِذَا نَكَلَ بِهِ، فجدعَ أنفه، أو قطعَ أذنه، أو بتر طرفه.

والمعنى: لا تنصبوها غرضاً لترموها، أو تقطعوا أطرافها، وهي حية.

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ جَدِّي أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَارَ الْحَكْمِ بْنِ أَيُوبَ فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: نَحْنُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُصْبِرَ الْبَهَائِمِ».^٣

قوله: «أَنْ تُصْبِرَ الْبَهَائِمِ»: هو الطائر وغيره من ذاتات الروح، يصبر حيا ثم يرمى حتى يقتل وأصل الصبر: الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره. ومنه قيل للرجل يقدم فيضرب عنقه: قتل صبراً. عن: أمسك للموت.^٤

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَتَخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّؤْخُ غَرَضًا».^٥

١ - معلم السنن (٢٤٨ / ٢)

٢ - رواه النسائي - كتاب الصيد والذبائح، النهي عن المجسمة، حديث رقم: ٤٣٨٨، والطبراني في الكبير - حديث رقم:

١٣٦١٥، وصححه الألباني

٣ - رواه البخاري - كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلثة والمصبوحة والمجسمة، حديث رقم: ٥٢٠١، ورواه مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم، حديث رقم: ٣٧١٠

٤ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٢٧ / ٥)

٥ - رواه مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم، حديث رقم: ٣٧١١

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَرْأَبْنُ عُمَرَ يَقْتَيَانٌ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ حَاطِئَةً مِنْ نَبِيلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَغَرَّفُوا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا لَعْنَ اللَّهِ مَنْ فَعَلَ هَذَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعْنَ مَنْ اخْتَدَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا.^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرْسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاءٍ وَهُوَ يَحْكُمُ شَفَرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا فَقَالَ: «أَفَلَا قَبْلَ هَذَا أَتَرِيدُ أَنْ تُمْيِتَهَا مَوْتًا». وَفِي رِوَايَةِ قَالَ: «أَتَرِيدُ أَنْ تُمْيِتَهَا مَوْتَاتٍ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَيِّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حَمَرًا مَعَهَا فَرَحَانٌ فَأَخْدَنَا فَرَحَيْهَا فَحَاءَتِ الْحَمَرَةُ فَجَعَلَتْ ثُعَرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بُولَدَهَا رُدُودًا وَلَدَهَا إِلَيْهَا». وَرَأَى قَرِيَّةً مَعْلِ قَدْ حَرَقَنَاها فَقَالَ: «مَنْ حَرَقَ هَذِهِ». قُلْنَا لَهُنْ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».^٣

وَفِي رِوَايَةِ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِرْدُدْهُ رَحْمَهُ لَهَا».

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى حِمَارًا قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَلَمْ أَنْهُ عَنْ هَذَا؟! لَعْنَ اللَّهِ مَنْ فَعَلَهُ».^٤

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعْنَ اللَّهِ مَنْ مَثَلَ بِالْحَيْوَانِ».^٥

١ - رواه مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم، حديث رقم: ٣٧١٣

٢ - رواه الحاكم في المستدرك - كتاب الأضاحي، حديث: ٧٦٢٩، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: ١١٧٠٦، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الضحايا، باب الذكاة بالحديد وبما يكون أخف على المذكي وما يستحب من، حديث رقم: ١٧٨٠٥

٣ - رواه أحمد - حديث: ٣٧٢٢، وأبو داود - كتاب الجهاد، باب في كراهة حرق العدو بالنار، حديث رقم: ٢٣١٤، والحاكم - كتاب الذبائح، حديث: ٧٦٦٦، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠١٨٠، والأوسط - حديث رقم: ٤٢٤٠، والبخاري في الأدب المفرد - باب أخذ البيض من الحمراء، حديث رقم: ٣٩٥، وصححه الألباني

٤ - رواه ابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، ذكر الرجز عن وسم شيء من ذوات الأربع على وجهه، حديث رقم: ٥٦٢٧، وأبو يعلى - مسنون جابر رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٠٩٩، بسنده صحيح

٥ - رواه ابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، ذكر لعن المصطفى صلى الله عليه وسلم الممتنع بالشيء من الحيوان، حديث رقم:

اللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، والمعنى: مقطع أعضاء حيواناً كالأذن والأنف والدنسِ وغَيرِهَا فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ.

وعن معاوية بن قرعة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إني لاذبح الشاة فأرجحها، أو قال: إني لأذبح الشاة لأن أذبحها، قال: «والشاة إن رحمتها، رحمك الله» مررتين.^١

رحمه النبي صلى الله عليه وسلم بالعصاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بسکران فامر بضرره فمنا من يضرره بيده ومنا من يضرره بعليه ومنا من يضرره بشوبه فلما انصرف قال رجل ما له أحراه الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».^٢

قال الحافظ ابن حجر: ووجه عونهم الشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي فإذا دعوا عليه بالخزي فكان لهم قد حصلوا مقصود الشيطان.^٣

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يصلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جلد في الشراب، فأتي به يوماً، فامر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنة ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنه، فوالله ما علمت أنه ليحب الله ورسوله».^٤

قال صاحب اللامع الصبيح: (لا ينافي هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر، وعاصرها، ومعتصرها؛ لأن ذاك لعنة غير معين؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٥٩٢، والبخاري في الأدب المفرد - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٤٨٢، وصححه الألباني

٢ - رواه البخاري - كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، حديث رقم: ٦٤١١

٣ - فتح الباري لابن حجر (٦٧ / ١٢)

٤ - رواه البخاري - كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، حديث رقم: ٦٤١٠

[هود: ۱۸]، وهذا في المعين، أو: أن ذاك قبل التكبير بالحد، هذا بعده، أو: هذا للتأبين، وذاك لغيرهم.^۱

رَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكُفَّارِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ الْحُدُّ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيْتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيْتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كُلَّاِلِ، فَلَمْ يُجْنِي إِلَى مَا أَرْدَتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَطْلَقْتِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمَكَ لَكَ، وَمَا رَدُوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجَيَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجَيَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَاهِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».^۲

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ الطُّفِيلُ وَاصْحَابُهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دُوْسًا قَدْ كَفَرْتُ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ: هَلَكَتْ دُوْسٌ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دُوْسًا وَأَتِهِ هُمْ».^۳

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ غُلَامًا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْوُدُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلَامَ فَقَالَ أَبُوهُ: أَطْعِ أَبَا الْقَاسِمِ فَأَسْلَمَ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَدَهُ بِي مِنَ النَّارِ».^۴

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ غَرَزاً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ تَجْدِيدِ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْفَاقِلَةُ فِي وَادِ كَثِيرِ الْعِصَابِ فَنَزَلَ رَسُولُ

۱ - اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١٦ / ٢٧٤)

۲ - رواه البخاري - كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، حديث رقم: ۳۰۷۵، ومسلم - كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين، حديث رقم: ۳۴۰

۳ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب الدُّعَاء لِلْمُشْرِكِينَ بِالْمُهُدَى لِيَتَأَلَّهُمْ، حديث رقم: ۲۹۳۷، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، وأشجع، ومؤينة، ودوسي، وطبي، حديث رقم:

٢٥٢٤

۴ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، حديث رقم: ۱۳۰۲

الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة وعلق بها سيفه ونما نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: «إن هذا احترط على سيفي وأن نائم فاستيقظ و هو في يدي صلتا فقال من يمنعك متي فقلت الله ثلاثة و مم يعاقبه وجلس».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيلا قبل نجده، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له: ثمامه بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ماذا عندك يا ثمامه؟» فقال: عندى يا محمد حير، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد العد، فقال: «ما عندك يا ثمامه؟» قال: ما قلتك لك، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من العد، فقال: «ماذا عندك يا ثمامه؟» فقال: عندى ما قلتك لك، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت ت يريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطلقو ثمامه»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد، والله، ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصلح وجهك أحب الوجوه كلها إلى الله، ما كان من دين بلدي أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلى الله، ما كان من بلدي أبغض إلى من بلدي، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى الله، وإن حيلك أحذني وأنا أريد العمارة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت، فقال: لا، ولكي أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القاتلة، حديث رقم: ٢٧٧٤
- ٢ - رواه البخاري - كتاب المعازي، باب وفدي بنى حنيفة، حديث رقم: ٤٢٣، ومسلم - كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، حديث رقم: ٣٣٩٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِكْرِمَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفُتْحِ دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةِ عَلَى أُمِّ هَانِي بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاسْتَجَارَ إِلَيْهِمَا، فَقَالَا: نَحْنُ فِي جُوازِكُمْ، فَأَجَارْهُمَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَشَهَرَ عَلَيْهِمَا السَّيْفَ فَنَفَّلَتْ عَلَيْهِمَا وَاعْتَنَقَتْهُ، وَقَالَتْ: تَصْنَعُ يِّي هَذَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ لِتَبْدَأَنَّ بِي قَبْلَهُمَا، فَقَالَ: تُجْرِيَنَ الْمُشْرِكِينَ؟ فَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ هَانِي: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيْتُ مِنْ ابْنِ أُمِّي عَلَيِّ مَا كِدْتُ أَفْلِتُ مِنْهُ، أَجْرَتْ حَمْوَيْنِ لِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَانْفَلَتْ عَلَيْهِمَا لِيَقْتُلُهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ قَدْ أَجْرَنَا مِنْ أَجْرِتِ، وَأَمَّنَا مِنْ أَمْنَتِ» فَرَجَعَتْ إِلَيْهِمَا فَأَخْبَرْهُمَا فَانْصَرَفَ إِلَى مَنَازِلِهِمَا، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةِ جَالِسًا فِي نَادِيهِمَا مُتَنَضِّلِينَ فِي الْمُلَأِ الْمُرْعَفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا سَيِّلَ إِلَيْهِمَا قَدْ أَمَّنَاهُمَا» قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ: وَجَعَلْتُ اسْتَحْيِي أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَذْكُرُ رُؤْيَتِهِ إِيَّايِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ أَذْكُرُ بِرَبِّ وَرَحْمَتِهِ، فَأَلْفَاهُ وَهُوَ دَاخِلُ الْمَسْجِدِ فَتَلَقَّا نِي بِالْبِشْرِ وَوَقَفَ حَتَّى جَعْتُهُ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ، وَشَهَدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ مَا كَانَ مِثْلُكَ يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ» قَالَ الْحَارِثُ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الْإِسْلَامِ جُهْلًا.^١

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءِ لِبِنِي عُقَيْلٍ فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسَرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعْهُ الْعَضْبَاءَ فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ يَمَّا أَحَدْنَيِ وَيَمَّا أَحَدْنَيِ سَابِقَةَ الْحَاجِ فَقَالَ إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَحَدْنُكَ بِحَجْرِيَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ قَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ قَالَ لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ

١ - رواه الحاكم في المستدرك - كتاب معفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ الْمَحْرُومِيِّ رضي الله عنه،

الحديث رقم: ٥٢١٠

أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعَمْتِي وَظَمَانُ فَاسِقِي قَالَ هَذِهِ حَاجَتُكَ فَقُدِّي بِالرَّجُلَيْنِ" ١.

قال الخطابي: وقوله: (إِنِّي مُسْلِمٌ) ثم لم يخله النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك لكنه رده إلى دار الكفر فإنه يتأنى على أنه قد كان أطلبه الله سبحانه على كذبه وأعلم أنه تكلم به على التقية دون الإخلاص، ألا تراه يقول له هذه حاجتك حين قال إني جائع فأطعمني وظمان فاسقني، وليس هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قال الكافر إني مسلم قبل منه إسلامه ووكلت سريته إلى ربه وقد انقطع الوحي وانسد علم باب الغيب.

وقوله: "لَوْ كُنْتَ قُلْتَ ذَلِكَ وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ" يريد أنك لو تكلمت بكلمة الإسلام طائعاً راغباً فيه قبل الأسار أفلحت في الدنيا بالخلاص من الرق، وأفلحت في الآخرة بالنجاة من النار.

١ - رواه مسلم - كتاب النذر، باب لا وفاة لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يمليه العبد، حديث رقم: ١٦٤١

فضل الرَّحْمَةِ وَمَنْزِلَتِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى:

الرَّحْمَةُ صَفَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^٣.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا حَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ - هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ - إِنَّ رَحْمَتِي تَعْلِبُ غَضَبِي».^٤

وفي رواية: «لَمَّا حَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».^٥

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُحْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ رَءُوفَ رَّحِيمَ﴾^٧.

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^٨.

١ - سورة الأنعام: الآية / ١٢

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٥٤

٣ - سورة الأعراف: الآية / ١٥٦

٤ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله نفسه، حديث رقم: ٦٩٩١، ورواه مسلم - كتاب التوبه، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: ٥٠٤٦

٥ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلْمَاتُنَا لِعِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، [الصفات: ١٧١] ، حديث

رقم: ٧٤٥٣

٦ - سورة الأحزاب: الآية / ٤٣

٧ - سورة التوبه: الآية / ١١٧

٨ - سورة يوسف: الآية / ٦٤

وقال تعالى: ﴿فَقَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .^١

وقال تعالى: ﴿وَأَبْيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَتِيَ مَسَنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .^٢

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .^٣

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِدِلِكَ خَلْقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .^٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يجعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعه وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها حشية أن تصيبه» .^٥

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألي فإذا امرأة من السبئ تتبعني إذا وجدت صبياً في السبئ أخذته فأصلقتها بيطنهما وأرضعتها فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار». قلنا لا والله وهي تقدير على أن لا تطربه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» .^٦

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً ومعه صبيٌّ، فجعل يضمُه إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أترحمه؟» قال: نعم، قال: «فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الرّاحمين» .^٧

١ - سورة يوسف: الآية /٩٢

٢ - سورة الأنبياء: الآية /٨٣

٣ - سورة الأعراف: الآية /١٥١

٤ - سورة هود: الآية /١١٨ ، ١١٩

٥ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، حدث رقم: ٥٦٦١، ورواه مسلم - كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حدث رقم: ٥٠٤٩

٦ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، حدث رقم: ٥٦٦٠، ورواه مسلم - كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حدث رقم: ٥٠٥٤

٧ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب رحمة العيال، حدث رقم: ٣٧٧، بسند صحيح

الرَّحْمَةُ صفة الملائكة الأبرار:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَعْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِيمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ أَلَّى وَعْدَكُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِيمُ السَّيِّئَاتِ﴾^١.

قال ابن بطال رحمه الله: استغفارهم لهم دليل على أن في نفوس الملائكة رحمة على أهل الأرض.

الرَّحْمَةُ سَبَبُ الرَّحْمَةِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُونَ الرَّحْمُونَ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحِمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اَرْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ، وَيَلِّ الْأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيَلِّ الْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ».^٣

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَحَمَ وَلَوْ دَبِيَحَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٤

وَعَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ قُرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا، قَالَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ» مَرَّتَيْنِ.^٥

١ - سورة غافر: الآيات / ٧ : ٩

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٣٢٢، الحاكم - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٣٤٣، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم: ٤٣١١، والتزمي - أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: ١٨٩٦، بسنده صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٤١، والبخاري في الأدب المفرد - باب رحمة البهائم، حديث رقم: ٣٨٠، بسنده صحيح

٤ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب رحمة البهائم، حديث رقم: ٣٨١، بسنده حسن

٥ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٥٩٢، والبخاري في الأدب المفرد - باب ارحم من في الأرض، حديث رقم: ٣٧٣، بسنده صحيح

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالعيال، وكان له ابن مسترضاً في ناحية المدينة، وكان ظرفاً قيناً، وكنا نأتيه، وقد دخن البيت بآخر، فيقبله ويسمُّه». ^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بینا رجلاً يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بغير فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهمث، يأكل الشري من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملا حفته ثم أمسكه بيده، ثم رقى، فسقى الكلب فشكَّر الله له، فعفر له». قالوا يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً قال: «في كل كبد رطبة أجراً». ^٢

وعن عائشة أمها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاثة تمرات فأعطت كل واحدة منها تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتها فشققت التمرة التي كانت تُريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شاؤما ذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله قد أوجب لها الجنة أو أعتقها بها من النار». ^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بِيَمِّا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ عُصْنَ شَوِيكَ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَحَرَّهُ، فَشَكَّرَ اللَّهُ لَهُ، فَعَفَّرَ لَهُ». ^٤

الرحمة سبب دخول الجنة:

عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحاته عبدا حلالا وإنني خلقت عبادي خلقا كلهم وإياكم أتقهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلى لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرجمهم وإنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك وأنزلت عليك كتابا لا

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب رحمة العيال، حديث رقم: ٣٧٦، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٦٧٠، ورواه مسلم - كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، حديث رقم: ٤٢٥٨

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، حديث رقم: ٤٨٧١

٤ - رواه البخاري - كتاب المظالم والغضب، باب من أخذ العصن، حديث رقم: ٢٣٦٠، ورواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، حديث رقم: ٤٨٥٠

يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقطنان وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت رب إذا يتلعوا رأسي فيدعيه حبيرة قال استخر جهم كما استخر جوك وأغزهم نعراك وانفق فسننفق عيلك وابعث حيشاً نبعث خمسة مثله وقاتل من أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مفسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وغافيف متغفف ذو عيال - قال - وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا حانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يجادلك عن أهلك وممالك ». وذكر البخل أو الكذب «والشظير الفحاش». ^١

آثار فقد الرحمة:

لما كانت الرحمة سبباً لرحمة الله تعالى؛ لأن الجزء من جنس العمل كما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «الراحمون يرحمهم الرحمن.....». ^٢ كان جزءاً من فقد الرحمة الحرمان منها عيادة بالله. ومن صور الحرمان من الرحمة:

من لا يرحم لا يرحم

فإن من آثار فقد الرحمة عدم الرحمة، فمن خلا قلبه عن الرحمة فلا حظ له من رحمة الله تعالى.

فعن حميد بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس». ^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حabis التميمي جالساً فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم». ^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم:

٢٨٦٥

٢ - تقدم تخرجه

٣ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا، حديث رقم: ٦٩٦٤، رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعياال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم: ٤٣٨٥

الشقاء الأبدي أثرٌ من آثار فقد الرحمة:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِّيٍّ». ثلاثة مراتٍ.^١

دخول النار جزاء من لا رحمة عنده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ مَاتَتْ هَذِلَّةً».^٢

قال الفيلسوف الفرنسي إدوار مونته في آخر كتابه (العرب): عُرف محمد بخلوص النية واللاملاطفة وإنصافه في الحكم، ونراهه التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أذكي وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدتهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم.^٣

قال واشنطن إيرفنج: "كانت تصرفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل، لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو".

وقال المستشرق الألماني "برتلي سانت هيلر" في كتابه "الشرقيون وعقائدهم": "كان محمد رئيساً للدولة، وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعقوب الأشخاص الذين يجترحون الجنایات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان

٤ - تقدم تخرجه

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٠٠١، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في الرحمة، حدث رقم: ٤٩٤٢ ، البخاري في الأدب المفرد - باب ارحم من في الأرض، حدث رقم: ٣٧٤ ، والبيهقي في السنن - جماغ أبواب الرعاية، باب ما على السلطان من القيام فيما ولي بالقسطنطينية ، والرحمة بهم ، والتنفع بهم ، والعفو عنهم ما لم يكن حراماً، حدث رقم: ١٦٦٤٣ ، بسنده حسن

٢ - رواه البخاري - كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، حدث رقم: ٢٢٥٧ ، رواه مسلم - كتاب السلام، باب تحريم قتل المرة، حدث رقم: ٤٢٥٧

٣ - مستشرق فرنسي ولد في بلدة لوكادا سنة: ١٨١٧ - ١٨٩٤ م

النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية؛ وهما: العدالة والرحمة.

مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّفْقُ

حدُّ الرِّفْقِ:

الرِّفْقُ: لين الجانب ولطافة الفعل.^١

وقيل: الرِّفْقُ هو: اليسر في الأمور، والسهولة في التوصل إليها، وخلافه العنف وهو التشديد في التوصل إلى المطلوب.^٢

وقيل: الرِّفْقُ هو: اللطف وأخذ الأمر بأحسن وجوهه وأقرها.^٣

الرِّفْقُ من أجمل الصفات، وأكرم الشمائيل التي يتصرف بها الناس، وهو من الصفات التي يحبها الله تعالى، ويحب من يتصرف بها، وما لا؟ وهي من صفات الله تبارك وتعالى؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةً إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».٤

قال الحافظ ابن حجر: والمَعْنَى أَنَّهُ يَتَأَتَّى مَعَهُ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يَتَأَتَّى مَعَ ضِدِّهِ.^٥

قال القاضي: والظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الرِّفْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى اسْمًا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَوَاتِرْ وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ أَيْضًا عَلَى قَصْدِ الْإِسْمِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُحْبَرَ عَنْهُ تَمْهِيدًا لِلْحُكْمِ الَّذِي بَعْدُهُ، فَكَانَهُ قَالَ: هُوَ الَّذِي يَرْفُقُ عِبَادَةَ فِي أُمُورِهِمْ فَيُعْطِيهِمْ بِالرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِيهِمْ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ قَوْلَهُ «وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» بَعْدَ قَوْلِهِ: «مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»، لِيُدْلِلَ عَلَى أَنَّ الرِّفْقَ أَنْجَحُ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا وَأَنْفَعُهَا بِأَسْرِهَا. قال الطبيبي: وفي معناه قول الشاعر:

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ الْهَنِّيِّ بِقُوَّةِ^{****} هَيْهَاتَ أَنْتَ بِنَاطِلِ مَشْعُوفُ

أَكَلَ الْعُقَابَ بِقُوَّةِ حِيفَ الْفَلَا^{****} وَرَعَى الدُّبَابُ الشَّهَدَ وَهُوَ ضَعِيفُ^٦

١ - العين (٥ / ١٤٩)

٢ - معجم الفروق اللغوية للعسكري (١ / ١٧٦)

٣ - مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٣ / ١٧٦)

٤ - رواه البخاري - كتاب استتابة المرتدین والمعاندين وقتلهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حدیث رقم: ٤٨٠٣، ومسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، حدیث رقم: ٦٥٤٤

٥ - فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٤٩)

الرِّفْقُ مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْفَقَ النَّاسَ وَأَرْحَمَهُمْ، وَأَعْظَمَهُمْ شَفَقَةً؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .^١

عَنْ عَطَاءٍ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيَتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرُو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَحْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: «أَجَلُونَ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِعَضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٤٥]، وَحِزْرًا لِلْأُمَمِينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولي، سَمِّيْتُكَ الْمَتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقْيِمَ بِهِ الْمَلَةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيْدًا، وَآذَانًا صُمَّمَا، وَقُلُوبًا عُلْفًا».^٢

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».^٣

أَيْ: لَا يَكُونُ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا زَانَهُ وَجَمَّلَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا عَابَهُ وَقَبَّحَهُ.

٦ - شرح المشكاة للطبي الكافش عن حقائق السنن (٣٢٢٩ / ١٠)

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٥٩

٢ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب كراهة السَّخَبِ فِي السُّوقِ، حديث رقم: ٢١٢٥

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، حديث رقم: ٤٨٠٤

من صور رِفْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رِفْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْتَهِ:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ حَلْفَ سَرِيرَةٍ تَعْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمَلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي وَلَا تَطِيبُ أَنفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي».^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى أُمَّتِي لَأَمْرُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».^٢

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ».^٣

١ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كتاب الجهاد والسير بباب الجعاتل والحملان في السبيل، حديث رقم: ٢٨٣١، ومسلم - كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم: ٣٥٧٨

٢ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كتاب الجمعة، بباب السواك يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٦، ومسلم - كتاب الطهارة، بباب السواك، حديث رقم: ٣٩٦

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الإمارة، بباب فضيلة الإمام العادل، حديث رقم: ٣٤٩٥

رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالكفار:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ هُدًى رَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ رَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: مَا مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا ثَنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرُهُمَا مِنْهُ، يَسِيقُ حِلْمَهُ جَهْلَهُ وَلَا تَرَيْدُ شِدَّةَ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَطْفُلَهُ لَأَنَّ أَخَالِطُهُ، فَأَعْرَفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ. قَالَ رَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مِنَ الْحُجَّرَاتِ وَمَعْهُ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاجِلِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بُصْرَى قَرِيبَةَ بْنِ فُلَانِ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ، وَكُنْتُ حَدَّثَتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغْدًا، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَفُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ، فَأَنَا أَحْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعُلِّتَ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أَرَاهُ عَلَيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقَيَ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ رَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِعَنِي تَمَرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بْنِ فُلَانِ إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: لَا يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمَرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تُسَمِّي حَائِطَ بْنِ فُلَانِ، فُلِّتُ: بَلَى، فَبَأْيَعَنِي فَأَطْلَقْتُهُ مِهْيَانِي، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمَرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلُ، فَقَالَ: اعْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعِنْهُمْ بِهَا، فَقَالَ رَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجْلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ، أَتَيْتُهُ فَأَحْدَثُ بِمَجَامِعِ قَمِيسِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوْجِهٍ غَلِظٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَفْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ لَمَطْلُونَ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُحَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى، فَوَاللَّهِ بَعْثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أَحَادِرُ فَوْتَهُ لَضَرِبَتِ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَّةٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِهِذَا، أَنْ تَأْمُرِنِي بِخُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِخُسْنِ التَّبَاعَةِ، ادْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمَرٍ مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ، قَالَ رَيْدُ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَاهِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمَرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أَمْرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتَكَ، قُلْتُ: وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا رَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْجُبُرُ، قُلْتُ: الْجُبُرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلْتَ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ؟ قُلْتُ: يَا عُمَرُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ

علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنين مِمَّا أخبرُهُمَا مِنْهُ، يُسِيقُ حِلْمَهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَرِيدُهُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ أُخْبِرُهُمَا، فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبِّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَعِمَّارِي نَبِيًّا، وَأَشْهَدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي وَإِنِّي أَكْثُرُهُمَا مَالًا صَدَقَةً عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسْعُهُمْ. قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم وَآمَنَ بِهِ وَصَدَقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهَدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً، ثُمَّ ثُوَّبَ زَيْدٌ فِي عَزْوَةٍ تَبُوكَ مُفْبِلاً غَيْرَ مُدْبِراً، رَحْمَ اللَّهُ زَيْدًا.^١

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الله عزرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل تجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركهم القائلة في وادٍ كثیر العضاء فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستغلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نوماً فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عند هؤلئه أعرابي فقال: «إن هذا احتراط على سيفي وأننا نائم فاستيقظ و هو في يديه صلتا ف قال من ينفعك متي فقلت الله ثلاثة و مم يعاقبه وجلس». ^٢

وفي رواية: رسول الله صلى الله عليه وسلم سبileه فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.^٣

رُفْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّسَاءِ وَالصِّغَارِ:

ومن رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء والصغار ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم إني أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة». ^٤

١ - رواه الحاكم - كتاب البيوع، حديث رقم: ٢١٧٨، وابن حبان - كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه، حديث رقم: ٢٨٧، والبيهقي في السنن - كتاب التفليس، باب ما جاء في التقاضي، حديث رقم: ١٠٥٥٤، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٥٠٠٠

٢ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، حديث رقم: ٢٧٧٤

٣ - رواه الحاكم - كتاب المغازي والسرايا، حديث رقم: ٤٢٦٥

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٦، وابن ماجه - كتاب الأدب، باب حق اليتيم، حديث رقم: ٣٦٧٨، والحاكم في المستدرك - كتاب الإيمان، حديث رقم: ٢١١، بسنده صحيح

ومن أظهر صور رفق النبي صلى الله عليه وسلم والصغار ما حكاه أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو خادم النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لازمه عشر سنين، وعند أنس رضي الله عنه، ما عند أترابه من حب اللعب، والتواقي أحياناً عن فعل ما يؤمر به ومع ذلك ما عاتبه صلى الله عليه وسلم يوماً على شيء فعله أو تركه، فضلاً عن التأفي منه؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي: أفال قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهل فعلت كذا؟".^١

وعنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً فآرسنني يوماً لحاجة فقلت والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني بهنبي الله صلى الله عليه وسلم قال فحرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايس بيقناعي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «يا أنيس اذهب حيث أمرتك». قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعت لم فعلت كذا وكذا. ولا لشيء تركت هلاً فعلت كذا وكذا.^٢

ومن صور رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء رفقه بتلك المرأة التي أشاحت له بيدها، وتكلمت معه بما لا ينبغي وهي لا تعرفه حين وعظها صلى الله عليه وسلم وذكرها بالصبر عند المصيبة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها: «اتقى الله واصبر». فقالت: إلينك عيني فإنك لم تصب بمحبيتي ولم تعرفه فقيل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فماتت بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بواطن فقالت: يا رسول الله إبني لم أعرفك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصبر عند أول الصدمة».^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، حديث رقم: ٢٣٠٩

٢ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، حديث رقم: ٢٣١٠

٣ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، حديث رقم: ١٢٨٣، ومسلم - كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة، حديث رقم: ٦٢٩

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرِيَّةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمْرَأَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهِيًّا فِي خَاصَّتِهِ يَتَقَوَّى اللَّهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِيرًا ثُمَّ قَالَ: «إِغْرِزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَيِّلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْرُوا وَلَا تَعْلُمُوا وَلَا تَعْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيَدًا».^١

عن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول رضي الله عنه أنه قال لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وأنا الأذل قال وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فو الذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له وإن شئت أن أتيك برأسه لأنني أكره أن أرى قاتل أبي.^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي حِنَازَةٍ، فَرَأَى عُمَرَ امْرَأَةً، فَصَاحَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهَا يَا عُمَرُ، «فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةُ، وَالنَّفْسُ مُصَابَةٌ، وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ».^٣

رِفْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُصَمَةِ مِنْ أُمَّتِهِ:

وَمِنْ رِفْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُصَمَةِ مِنْ أُمَّتِهِ مَا ثَبَّتَ عَنْ أَبِي أُمَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ فَتَّيَ شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذُنْ لِي بِالرِّزْقِ فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ: «إِذْنُهُ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا» قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتَحْبُبُهُ لِأُمِّكَ» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَا تِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِإِخْتِنَكَ» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّاتِكَ» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَاتِنَكَ» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا

١ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب تأميم الإمام الأمراء على البعثة، حديث رقم: ٣٣٤٨

٢ - رواه الحميدى - حديث رقم: ١١٨٣

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٥٨٨٩، والنسياني - كتاب الجناز، باب الرخصة في البكاء على الميت، حديث رقم: ١٨٥٩

وابن ماجه - كتاب الجناز، باب ما جاء في البكاء على الميت، حديث رقم: ١٥٨٧، بسنده ضعيف

الناسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدُهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَنَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ^١.

وَمِنْ رِفْقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ رِفْقَهُ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَتَعْلِيمِ الْجَاهِلِ؛ كَمَا فَعَلَ بِذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي بَالَّا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى مَرَأَيِّ مِنَ النَّاسِ؛ فَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيًّا فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزِرُّ مُؤْمِنًا دُعْوَةً». فَتَرَكُوهُ حَتَّى يَبَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ». قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ.^٢

وَقَدْ ظَهَرَ أثْرُ رِفْقَهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَعْرَابِيِّ، فَفِي رِوَايَةِ لَابْنِ مَاجَهِ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقِهَ، فَقَامَ إِلَيْهِ بِأَبِيهِ وَأُمِّيهِ، فَلَمْ يُؤْتِنْبُ، وَلَمْ يَسْبِبْ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَسَاجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِالصَّلَاةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْلٍ مِنْ مَاءِ، فَأَفْرَغَ عَلَى بَوْلِهِ».^٣

رِفْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْلِيمِ أُمِّتِهِ:

وَمِنْ رِفْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْلِيمِ أُمِّتِهِ، فَعَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلْمَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحُمُكَ اللَّهُ فَرَمَّا يَقُولُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاثْكُلْ أَمْيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْحَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالثَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».^٤

١ - رواه أحمد حدث رقم: ٢١٦٥٤، والبيهقي في الشعب - باب في تحريم الفروج، حدث رقم: ٥١٦٤، والطبراني في الكبير - حدث رقم: ٧٥٣٥، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، حدث رقم: ٥٦٨٦، ورواه مسلم - كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، حدث رقم: ٤٥٥

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الطهارة وسنتها، باب الأرض يصفيها البول، كيف تُغسل، حدث رقم: ٥٢٩

٤ - رواه مسلم - كتاب المساجد ومواقع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، حدث رقم: ٨٦٨

ومن رِفْقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْلِيمِ وَأَرْشادِهِمْ مَا ثَبَتَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي نَدْرَثُ لِلَّهِ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَكَةً أَنْ أَصْلِيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ رُكْعَتَيْنِ قَالَ: «صَلِّ هَاهُنَا» ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ صَلِّ هَاهُنَا ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «شَانِكَ إِذْنُ». ^١

أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخْفِي عَنْهُ فَأَرْشَدَهُ إِلَى تَرْكِ الْمَعْنَى بِالنَّذْرِ إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَنْفَعُ لَهُ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَشْقُ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَانِكَ إِذْنُ». أَيْ: أَلْزِمْ شَانِكَ إِذْنَ.

رِفْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالضُّعْفَاءِ

وَمِنْ رِفْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالضُّعْفَاءِ مَا ثَبَتَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزِحِّي الْمُضَعِّفَ، وَيُرِدِّفُ وَيَدْعُو هُمْ». ^٢

وَمِنْ ذَلِكَ رِفْقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ عَمومًا فِي الصَّلَاةِ وَرِفْقُهُ بِالضُّعْفَاءِ وَالْمَرْضِيِّ وَذُوي الْحَاجَاتِ عَلَى وَجْهِ الْخَصْوَصِ؛ فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْنِي إِمَامًا قَوْمِيًّا. فَقَالَ: «أَنْتَ إِمَامُهُمْ، وَاقْتُلْ بِإِضْعَافِهِمْ، وَاجْحُدْ مُؤْذِنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذْانِهِ أَجْرًا». ^٣

١ - رواه أبو داود-كتاب الأيمان والنذور، باب من نذر أن يصلى في بيت المقدس، حديث رقم: ٢٨٩١، بسنده صحيح

٢ - رواه أبو داود-كتاب الجihad، باب في لزوم الساق، حديث رقم: ٢٦٣٩، والحاكم-كتاب الجihad، حديث رقم: ٢٥٤١، وقال: صحيح على شرط مسلم وم يخرجحه، والبيهقي في السنن الكبرى- جماع أبواب آداب السفر، باب الإمام يلتزم الساق، حديث رقم: ١٠٣٥٢، وصححه الألباني

٣ - رواه أحمد- حدیث رقم: ١٦٢٧٠، وأبو داود-كتاب الصلاة، باب أخذ الأجر على التاذين، حديث رقم: ٥٣١، والنمسائي-كتاب الأذان، المأخذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجرًا، حديث رقم: ٦٧٢، بسنده صحيح

وفي رواية عنه قال: كَانَ آخِرُ مَا عَاهَدَ إِلَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمْرَنِي عَلَى الطَّائِفِ قَالَ لِي «يَا عُثْمَانُ تَحَاوِزْ فِي الصَّلَاةِ، وَاقْدِرِ النَّاسَ بِأَضْعَافِهِمْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرُ، وَالصَّغِيرُ، وَالسَّقِيمُ، وَالْبَعِيدُ، وَذَا الْحَاجَةِ».^١

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ إِنَّمَا يُطْوِلُ بِنَا فُلَانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلَيُحِقِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ».^٢

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحِينَ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلَ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصْلِي، فَتَرَكَ نَاضِحَةً وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ - أَوِ النِّسَاءِ - فَانطَّلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَّ إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَأْنُ أَنْتَ» - أَوْ «أَفَتَنْ» - ثَلَاثَ مِرَارٍ: «فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاحَهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَعْشَى، فَإِنَّهُ يُصْلِي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ».^٣

رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالدواب:

ومن صور رفق النبي صلى الله عليه وسلم رفقه بالدواب والبهائم العجموات وكل من تكلم عن الرفق بالحيوان فإنما استنقى من معينه واقتني أثره، وسار على نهجه صلى الله عليه وسلم، وكل قانون سُنّ في ذلك فدون ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَحَرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغُكُمْ إِلَى بَلَدِكُمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ».

١ - رواه ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، والسنن فيها، باب من أم قوماً فليحقف، حديث رقم: ٩٨٧، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب العلم، باب العصب في الموعضة والتعليم، إذا رأى ما يكره، حديث رقم: ٩٠

٣ - رواه البخاري - كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، حديث رقم: ٧٠٥، ومسلم - كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء، حديث رقم: ٤٦٥

٤ - رواه أبو داود - كتاب الجماد، باب في الوقوف على الدائمة، حديث رقم: ٢٥٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان - باب في رحم الصغير وتوغیر الكبير، حديث رقم: ١٠٥٧٢

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَهَذَا فِيمَنْ رَكِبَهَا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى سَيِّرٍ أَوْ إِعْلَامِ النَّاسِ مِنْ كَلَامِهِ مَا يَخْتَانُ
إِلَى إِعْلَامِهِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْبَرٌ يَصْعَدُهُ.^١

وَمِنْ ذَلِكَ هُنَيْيُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجْعَلَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ حِيوانًا كَانَ أَوْ طَائِرًا عَرَضًا
يُرْمَى؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَتَخَذُوا شَيْئًا فِيهِ
الرُّوحُ عَرَضًا».^٢

١ - شعب الإيمان (٤٢٤ / ١٣)

٢ - رواه مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يُؤكَلُ من الحيوان، باب التهـي عن صـير البـهائم، حديث رقم: ٥٨

مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَيَاةُ

تَعْرِيفُ الْحَيَاةِ:

الْحَيَاةُ لغَةً: تَغْيِيرُ وَانْكِسَارٍ يَعْتَرِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ لِخَوْفِ مَا يَعْابُ بِهِ، أَوْ يَعْاتِبُ عَلَيْهِ.

وَحْقِيقَتُهُ: خَلْقٌ يَبْعُثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبَائِحِ، وَيَنْعَنُ مِنَ التَّفَرِيظِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضْرِبُ الْمَثَلِ فِي الْحَيَاةِ:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَضْرِبُ الْمَثَلِ فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالشَّمَائِلُ الشَّرِيفَةُ عَلَى وَجْهِ الْعَوْمَةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضْرِبُ الْمَثَلِ فِي خَلْقِ الْحَيَاةِ عَلَى وَجْهِ الْخَصْوَصِ، فَهُوَ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيَاةً بِشَهَادَةِ مَا عَاشَهُ، وَمَنْ رَأَهُ، بَلْ وَبِشَهَادَةِ خَصْوَصِهِ وَأَعْدَاءِهِ، كَمَا سَيِّنَ، وَالْحَقُّ مَا قَالَهُ الْأَعْدَاءُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاةً مِنْ الْعَذَرَاءِ فِي خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ».^٢

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عُشِّلَاهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَعْتَسِلُ قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْنِكِ فَتَطَهَّرِي بِهَا». قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ تَطَهَّرِي بِهَا. قَالَتْ كَيْفَ؟ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي». فَاجْتَبَذَهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَعَّي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ.^٣

وَفِي رَوَايَةِ: «ثُمَّ إِنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْبِي فَأَعْرِضْ بِوْجَهِهِ».^٤

١ - سورة القلم: الآية/٤

٢ - رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٣٣٩٠، ورواه مسلم - كتاب الفضائل، باب كثرة حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤٣٨٦

٣ - رواه البخاري، كتاب الحيض، باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض، حديث رقم: ٣١٠، ورواه مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المعتسلة من الحيض فرصة من مسک في موضع، حديث رقم: ٥٢٥

٤ - رواه البخاري، كتاب الحيض، باب غسل الحيض، حديث رقم: ٣١١

من حیاء النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم آنہ کان لا یسأّل شیئاً إلّا أعطاه:

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم حییاً لا یسأّل شیئاً إلّا أعطاه». ^۱

ومن حیاء النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم أنه ما كان يردد سائلاً، ولا يمنع عطاً وهو يقدر عليه، فإن كان لا يجد يعده جميلاً أو يسكت حتى لا يكسر خاطر السائل؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم، لا یسأّل شیئاً، إلّا أعطاه، أو سكت». ^۲

وعن سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم ببردة منسوجة فيها حاشيتها أتدرون ما البردة قالوا الشملة قال: نعم. قالت تسبحها بيدي فجئت لأسووها فأخذها النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنما إزارة فحسنها فلان فقال أكسيها ما أحستها قال القوم ما أحست لبسها النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم محتاجاً إليها ثم سأله وعلمت أنه لا يردد قال إني والله ما سأله لا ألبسه إنما سأله ليكون كفني قال سهل فكانت كفنه. ^۳

من حیاء النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم آنہ کان لا یواجه أحداً بما یخزنه:

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال بني على النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم بزینب بنت جحشٍ يحبز ولهم فارسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فياكلون ويخرجون ثم يحيي قوم فياكلون ويخرجون فدعوت حبي ما أجد أحداً أدعوه فقلت يا نبیٰ الله ما أجد أحداً أدعوه قال: «ارفعوا طعامكم» وبقي ثلاثة رهطٍ يتحدّثون في البيت فخرج النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كليهن يقول هن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم فإذا ثلاثة من رهطٍ في البيت يتحدّثون وكان النبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم شديد

۱ - رواه الدارمي - باب في سخاء النبي صلی اللہ علیہ وسلم، حدیث رقم: ۷۴

۲ - رواه ابن حبان - كتاب السير، باب الغنائم وقسمتها، ذكر ما يستحب للإمام أن يقول عند التحام الحرب، حدیث رقم: ۴۹۱۳، والحاکم - كتاب قسم الفيء، والأصل من كتاب الله عز وجل، حدیث رقم: ۲۵۲۳، والبیهقی في السنن - كتاب قسم

الفيء والغنية، جماع أبواب الأنفال، باب السلب للقاتل، حدیث رقم: ۱۱۹۴۲، بسنده صحيح

۳ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي صلی اللہ علیہ وسلم ، حدیث رقم: ۱۲۳۰

الحياء فخرج مُنطِلِقاً نحو حجرة عائشة فما أذري آخرته أو أخْبَرَ آنَّ الْقَوْمَ حَرَجُوا فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أَسْكُفَةِ الْبَابِ دَاخِلَةً وَأَخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِهِ وَأَنْزَلَتْ آيَةَ الْحِجَابِ».^١

وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَّا هُوَ عَلَيْكُمْ بَرِيرٌ وَلَكُمْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَاتَّشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانُ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.^٢

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصططجاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر فلم يكتش لنه ونم ثيابه ثم دخل عمر فلم يكتش له ولم ينم ثيابه ثم دخل عثمان فجلس وسويت ثيابه فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».^٣

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه آثار صفرة - وكان النبي صلى الله عليه وسلم قلماً يواجهه رجلاً في وجهه بشيء يذكره - فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه».^٤

قال عبد الله لوبيلام: كان محمد صلى الله عليه وسلم على أعظم ما يكون من كريم الطاع، وشريف الأخلاق، ومتهى الحياة، وشدة الإحساس، وكان حائراً لقوة إدراك عجيبة، وذكاء مفرط، وعواطف رقيقة شريفة، وكان على خلق عظيم، وشيم مرضية، مطبوعاً على الإحساس..

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم﴾، حديث رقم:

٤٥١٩، ورواه مسلم - كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته، حديث رقم: ٢٦٤٣

٢ - سورة الأحزاب: الآية/٣

٣ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم:

٤٥١٩

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢١٥٠، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في حُسْنِ الْعِشْرَةِ، حديث رقم: ٤٧٨٩، ورواه البيهقي

في السنن الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، ترثُ مُواجَهَةَ الْإِنْسَانِ إِمَّا يَكْرُهُهُ، حديث رقم: ٩٧١٦، بسند ضعيف

سبل تحقيق الحياة وتكملة في النفوس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَحْيُوَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مِنْ اسْتَحْيَي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ، فَلَيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوْيَ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَيَ، وَلَيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ». ^١

أثر قلة الحياة أو فقدانه على صاحبه:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». ^٢

فقد الحياة فقد للإيمان:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يُعَايِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاةِ يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي حَتَّىٰ كَانَهُ يَقُولُ قَدْ أَضَرَّ بِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاةَ مِنْ الْإِيمَانِ». ^٣

فقد الحياة عقوبة من الله تعالى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا نُزِعَ مِنْهُ الْحَيَاةُ». ^٤

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٥٦٥، والحاكم - كتاب الرفاق، حديث رقم: ٧٩٩٠، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق

واللوع، باب حديث رقم: ٢٤٤٠، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٠٩٤، بسنده حسن

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣١٤

٣ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب: الحياة من الإيمان، حديث رقم: ٢٤، ومسلم - كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم: ٧٧

٤ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٩٠٧١، وشعب الإيمان - حديث رقم: ٤٩٤٢

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلْمُ

تعريف الحلم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْغُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^١.

الحلم هو: الطمأنينة عند سورة الغضب.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ يُحَدِّثُنَا فَإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَاماً حَتَّى نَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِ أَرْوَاحِهِ فَحَدَّثَنَا يَوْمًا فَقُمْنَا حِينَ قَامَ فَنَظَرَنَا إِلَى أَعْرَابِيَّ قَدْ أَدْرَكَهُ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ فَحَمَرَ رَقْبَتَهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَ رِداءً حَشِنَا فَالْتَّفَتَ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِيَّ هَذِينَ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِيْكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لَا وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبَذَتِكَ الَّتِي جَبَذَتِنِي». فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهُ لَا أَقِيدُكُمَا. فَدَعَا رَجُلًا فَقَالَ لَهُ: «اَحْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرِيَّ هَذِينَ عَلَى بَعِيرِ شَعِيرًا وَعَلَى الْآخَرِ تَمَراً». ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «اَنْصِرُوْا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى»^٢.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ عَزَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاءِ يَسْتَظِلُونَ بِالشَّجَرِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمَرَّةَ فَعَلَقَ بِهَا سَيِّفَهُ قَالَ جَابِرٌ فَنِمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا احْتَرَطَ سَيِّفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتُهُ فَقَالَ لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِي قُلْتُ اللَّهُ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقبِهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^٣.

١ - سورة الأعراف: الآية / ١٩٩

٢ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤٧٧٥ ، والنسائي - كتاب القسمامة، القعود من الجبدة، حديث رقم: ٤٧٧٦

٣ - رواه البخاري - كتاب المعازي، باب عزوة ذات الرفاع، حديث رقم: ٤١٣٥

عن ابن شهاب، قال: حدثنيعروة، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حدثته أكها قالث لنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجنبى إلى ما أردت، فانطلقت وأنما مهموم على وجهي، فلم استيق إلا وأنا بقرين التعالب فرقت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناديني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما رددوا عليك، وقد بعث إلينك ملك الجنال لتأمره بما شئت فيهم، فناديني ملك الجنال فسلّم علىي ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأحسنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً».^١

عن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذ، دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلاائق يوم القيمة حتى يحييه الله من الخور العين ما شاء».^٢

قال الله تعالى: ﴿وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغِيظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^٣

١ - رواه البخاري - كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: أمين والملايكه في السماء، أمين فوافق إخداها الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: ٣٢٣١، ومسلم - كتاب الجهاد والسبير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: ١٧٩٥

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٦٣٧، وأبو داود - كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، حديث رقم: ٤٧٧٧، والترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في كظم الغيظ، حديث رقم: ٢٠٢١، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم: ٤١٨٦، بسنده حسن

٣ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣٤ ، ١٣٣

وعن ابن عمر رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم
أجرًا عند الله، من جرعة عيظ كظمها عبد ابتقاء وجه الله». ^١

الحلم حصلة يحبها الله:

عن أبي سعيد الحذري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد
القيس: «إن فيك حصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». ^٢

الحلم: تأخير مكافأة الظالم، والأناة: الوقار والتثبت، وضدهما الطيش والعجلة وهم خلقان
مدوممان يفسدان الأخلاق والأعمال، والفرق بين الحلم والأناة أن الحلم في مقابلته لغيره، والأناة في
احتمال نفسه.

إنما الحلم بالتحلّم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم،
 وإنما الحلم بالتحلّم، ومن يتّحّر الحُلْمُ يُعطِيهِ، ومن يتَوَقَ الشَّرُّ يُوقَهُ، ثلاث منْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ
الدرجات العلى، ولَا أَقُولُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَفْسَمَ أَوْ رَدَهُ مِنْ سَفَرٍ تَطَيِّرُ». ^٣

أي: لا يحصل العلم إلا بالسعى في تحصيله، واستفراغ الجهد في تحقيقه، والتواضع للعلماء وثنى
الركب عندهم، والصبر عليهم، والأدب في طلبه، ولا يحصل الحلم إلا ببساط النفس وحثها عليه
ومجاهدتها على الاتصال به.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦١١٤، وابن ماجه - كتاب الرهاد، باب الحلم، حدث رقم: ٤١٨٩، بسنده صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، حدث رقم: ١٧

٣ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٢٦٦٣، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/١٧٤)، وجامع بيان العلم وفضله -
باب جامع في آداب العالم والمتعلّم، فصلٌ، حدث رقم: ٩٠٣

كظم الغيظ خصلة لا تكون إلا للصابرين:

وقال تعالى: ﴿ادْفِعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ تَحْنُ أَعْلَمُ إِمَّا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿ادْفِعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤُهُ كَانَهُ وَلِيُّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نُزُغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٢.

الله أقدر عليك منك على هذا:

قال أبو مسعود البدرى: كنت أضرب علاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي، «اعلم، أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما ذاك مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا العالم»، قال: فقلت: لا أضرب ملوكاً بعده أبداً.^٣

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم، أخبره: أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل تجدى، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العصا، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العصا، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيقه. قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه، فإذا عنده أغرايى جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن

١ - سورة المؤمنون: الآية / ٩٦ - ٩٨

٢ - سورة فصلت: الآية / ٣٤ - ٣٦

٣ - رواه مسلم - كتاب الأيمان، باب صحابة المماليك، وفارة من لطم عبدة، حديث رقم: ١٦٥٩

هَذَا احْتَرَطَ سَيِّفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتَا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ "ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".^۱

وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرغ لك. قال: هنا لك وقعت في الشغل.

قال: كأنك تحدّدي، والله لئن قلت لي كلمة لأقول لك عشرًا. قال: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة.

وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: والله لأسبّنك سبّا يدخل القبر معك. قال: معك يدخل لا معي.

وشتم رجل الشعبي، فقال له: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك. وشتم رجل أبا ذر، فقال: يا هذا، لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعًا، فإنما لا نكافئ من عصى الله فيما بأكثر من أن نطيع الله فيه.

۱ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب عزوة ذات الرقاع، حديث رقم: ۴۱۳۵

من شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُودُ

تعريف الجُودِ:

الْجُودُ: إِعْطَاءُ بِلَا مَسَأَةٍ صِيَانَةً لِلآخِذِ مِنْ ذُلُّ السُّؤَالِ.

وَقِيلَ الْجُودُ: إِعْطَاءُ مَا يَتَبَغِي لِمَنْ يَتَبَغِي.

ولَكُنَّ مَنْ يُعْطِي بَعْيَرْ سُؤَالِ

وَمَا الْجُودُ مِنْ يُعْطِي إِذَا مَا سَأَلَهُ

مِنْ صُورِ جُودِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحُدَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَنَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفَدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدِيهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرُهُ عَنْكُمْ وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَ يُعْقِلُهُ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرُهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِي يُعْنِيهُ اللَّهُ وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّابِرِ».

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ».

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ حِبْرِيَلْ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فِي دِارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَوةَ الْفُتْحِ، فَتَحَّمَّلَ مَكَّةَ، ثُمَّ حَرَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِخُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعْمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً» قَالَ

١ - رواه البخاري - كتاب الرفاق، باب الصبر عن محارم الله، حديث رقم: ٦١١٥

٢ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب ما سُئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطْ فَقَالَ لَا، حديث رقم: ٤٣٧٦

٣ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٣٣٨٢، ومسلم - كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أَجْوَدُ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، حديث رقم: ٤٣٦٩

ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب، أن صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطي، وإنما لا يبغض الناس إلى، فما بري يعطي حتى إنما لا يحب الناس إلى». ^١

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه بينما هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقبلاً من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطربه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اعطوني رداءي فلو كان عدده هذين العضايا نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً». ^٢

وعن أنس رضي الله عنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البخرin فقال: «انثروه في المسجد فكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، إني فاديت نفسي، وفاديت عقيلاً، قال: «خذ» فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: أمر بغضهم يرفعه إلى قال: لا قال فارفعه أنت على قال: لا فثار منه ثم ذهب يقله فلم يرفعه فقال: فمر بغضهم يرفعه على قال: لا قال فارفعه أنت على قال: لا فثار منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبًا من حرصه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم». ^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد بلالاً، فأخرج له صبراً من تم، فقال: ما هذا يا بلال؟، قال: أدخلتك يا رسول الله، قال: «أما تخش أن يجعل لك بخار في نار جهنم، أنفق بلالاً، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً». ^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، حديث رقم:

٢٣١٣

٢ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجن، حديث رقم: ٢٦٨٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الصلاة، باب القسمة، وتعليق القنو في المسجد قال أبو عبد الله: «القنو العذر والاثنان قنوان والجماعة أيضاً قنوان مثل صنو وصنوان»، حديث رقم: ٤٢١

٤ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٠٢٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان - التوكيل بالله تعالى والتسليم لأمره في كل شيء، حديث رقم: ١٢٨٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما لله أعنفًا حلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلقا». ^١

وعن سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ببردة منسوحة فيها حاشيتها أتدرون ما البردة قالوا الشملة قال نعم قالت سجتها بيدي فحيث لاكسوكها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فخرج إلينا وإنما إزارة فحسنتها فلان فقال أحسنها ما أحسنها قال القوم ما أحسنت لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سأله وعلمت أنه لا يرد قال إني والله ما سأله لابسه إنما سأله ليكون كفني قال سهل فكانت كفنه. ^٢

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفاتصدق بثني مالي قال: لا فقلت: بالشطير فقال: لا ثم قال: «الثلث والثلث كثير أو كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء حير من أن تذرهم عالة يتکفرون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبغيها وجه الله إلا أحرت بها حتى ما تجعل في امرأتك فقلت يا رسول الله أخلف بعد أصحابي قال: إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلا ازدلت به درجة ورفعه ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم أمض لأصحابي هجركم ولا تردهم على أعقاهم لكن البائس سعد بن حولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة». ^٣

والشاهد من الحديث هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنك لن تنفق نفقة تبغيها وجه الله إلا أحرت بها حتى ما تجعل في امرأتك». ^٤

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل شيئاً لغد». ^٥

١ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: فأما من أعطى واتفى - حديث: ١٣٨٥، ومسلم - كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، حديث رقم: ١٧٤٠

٢ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ١٢٣٠

٣ - رواه البخاري - حديث رقم: ، ومسلم - حديث رقم:

٤ - رواه الترمذى - أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وأهله حديث رقم: ٢٣٤٢، وابن حبان وصححه الألبانى

عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَحَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَّرِ نِسَائِهِ فَفَزَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَكْثَرَهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرِ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْسِنَنِي فَأَمْرَتُ بِقِسْمَتِهِ». ^١

عَنْ عَائِشَةَ أَكَّهَا قَالَتِ: اشْتَدَّ وَجْعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ سَبْعَةُ دَنَانِيرٍ أَوْ تِسْعَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةَ مَا فَعَلْتُ تِلْكَ الدَّهَبَ؟» فَقَلَّتْ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: «تَصَدَّقَيِ إِهَا»، قَالَتْ: فَشُغِلْتُ بِهِ، ثُمَّ، قَالَ: «يَا عَائِشَةَ مَا فَعَلْتُ تِلْكَ الدَّهَبَ؟» فَقَلَّتْ: هِيَ عِنْدِي، فَقَالَ: «اَثْنَيْ إِهَا»، قَالَتْ: فَجِئْتُ بِهَا، فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، ثُمَّ، قَالَ: «مَا طُنْ مُحَمَّدٌ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟ مَا طُنْ مُحَمَّدٌ أَنْ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ». ^٢

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَجْدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ^٣

ولما خرجت سفاناً إلى أخيها عدي وكان بدومة الجندي فقالت إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فإني رأيت هدياً ورأياً ستبغل به أهل الغلب رأيت خصالاً أعجبتني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير وما رأيت أحداً أجود منه ولا أكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ^٤

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ، اشْتَرَى مِنْ عَائِشَةَ بَيْنًا بِمِائَةَ أَلْفٍ بَعَثَ إِلَيْهَا فَمَا أَمْسَتْ وَعِنْدَهَا مِنْهُ دِرْهَمٌ وَأَفْطَرَتْ عَلَى حُبْنِ زَرِيْتِ وَقَالَتْ لَهَا مَوْلَاهُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ كُنْتِ اشْتَرِيتِ لَنَا بِدِرْهَمٍ لَحَمًا قَالَتْ: «فَهَلَا ذَكَرْتِي» أَوْ قَالَتْ: «لَوْ ذَكَرْتِي لَفَعَلْتُ». ^٥

وَعَنْ أُمِّ ذَرَّةَ، وَكَانَتْ تَعْشَى عَائِشَةَ قَالَتْ: بَعَثَ إِلَيْهَا بِمَاءِلٍ فِي غِرَارَتَيْنِ قَالَتْ: أَرَاهُ ثَمَانِينَ أَوْ مِائَةَ أَلْفٍ فَدَعَتْ بِطَبَقٍ وَهِيَ يَوْمَئِدٍ صَائِمَةٌ فَجَلَسَتْ تُفْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَأَمْسَتْ وَمَا عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ

١ - رواه البخاري - كتاب الأذان، أبواب صفة الصلاة - باب من صلى بالناس، حديث رقم: ٨٢٦

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٢٢، وابن حبان - كتاب الرقائق، باب الفقر، والرثى، والقناع، ذكر ما يُستحب للمرء أن يكون خروجه من هذه الدنيا الفانية الرائلة، وهو صفر اليدين مما يخاسب عليه بما في عنقه، حديث رقم: ٧١٥، بسنده صحيح

٣ - رواه الدارمي - باب في حُسْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٦٠، بسنده رجاله ثقات

٤ - غر الخصائص الواضحة (١ / ٨)

٥ - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفباء (٤٩ / ٢)

دِرْهَمٌ فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ: «يَا جَارِيَةُ هَلْمِيِّ فِطْرِيِّ» فَجَاءَهَا بِخُبْزٍ وَرَبِيتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ ذَرَّةَ: أَمَا اسْتَطَعْتِ مِمَّا فَسَمْتِ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا حَمَّا بِدِرْهَمٍ نُفْطِرُ عَلَيْهِ قَالَتْ: «لَا تُعَنِّفِينِي لَوْ كُنْتِ ذَكَرْتِينِي لَفَعْلُتُ». ^١

١ - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤٧ / ٢)

أثر البُخْلِ على صَاحِبِهِ:

الْبُخْلُ أَقْبَحُ صِفَةٍ وَأَدْوًأُ دَاءٍ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بْنِ عُبَيْدٍ؟ قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَنَّ فِيهِ بُخْلًا، قَالَ: فَأَيُّ دَاءٍ أَدْوًأُ مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنَ مَعْوُرٍ».^١

وفي رواية أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا بْنِ سَلَمَةَ، مَنْ سَيِّدُكُمُ الْيَوْمَ؟ قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَلَكِنَّا نُبَخِّلُهُ، قَالَ: وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوًأُ مِنَ الْبُخْلِ؟ وَلَكِنْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمْوَحِ».^٢

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهُولَاءِ الدَّعَوَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْكَسْلِ وَأَرَذَلِ الْعُمُرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».^٣

١ - رواه الحاكم في المستدرك - كتاب البر والصلة، حديث رقم: ٧٢٩٣، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٢٠٣

٢ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٣٦٥٠، وأبي الشيخ في أمثال الحديث - حديث رقم: ٩٠، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ١٠٣٥٨

٣ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التَّعُوذُ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسْلِ وَعَيْرِهِ، حديث رقم: ٦٢٧٠

العذاب بالمال يوم القيمة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِعُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوَّى إِلَيْهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لَا نَفْسٌ كُمْ فَدُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُكُونُ كُنْزٌ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَفْرُّ مِنْهُ صَاحِبُهُ فَيَطْلُبُهُ وَيَقُولُ أَنَا كَنْزُكَ قَالَ وَاللَّهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيُلْقِمَهَا فَأُهْ».^٢

١ - سورة التوبة: الآية / ٣٤، ٣٥

٢ - رواه البخاري - كتاب الحيل، باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق، حشية الصدقة، حدث رقم:

من شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَدْلُ

حَدُّ الْعَدْلِ :

الْعَدْلُ هُوَ: الْإِنْصَافُ وَهُوَ إِعْطَاءُ الْمَرْءَ مَا لَهُ وَأَخْذَ مَا عَلَيْهِ.

مِنَ القيَمِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا دِينُ الْإِسْلَامَ: (الْعَدْلُ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِهِ، وَرَغَبَ فِيهِ، وَحَضَرَ عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.^١

وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْغَايَةَ مِنْ إِنْزَالِ الْكِتَابِ، وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ لِتَحْكُمُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا أَرَاكُمُ اللَّهَ وَلَا تَكُونُ لِلنَّاسِ حِصِّيْمًا﴾.^٢

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكُلُّتَا يَدِيهِ يَمِينُ الدَّيْنِ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا».^٣

قَالَ الرَّئِيْسُ بْنُ حُشَيْمٍ رَحْمَهُ اللَّهُ: «كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ احْتُصَرَ فِي الْإِسْلَامِ».^٤

مِنْ صُورِ عَدْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

المساواة في إقامة الحدود بين الناس:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ قُرْيَشًا أَهْمَتُهُمُ الْمَحْرُومَيْةُ الَّتِي سَرَقُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ يَجْتَرِيْعُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١ - سورة النحل : الآية / ٩٠

٢ - سورة النساء: الآية / ١٥

٣ - رواه مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْيَلَةُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةُ الْجَاتِيرِ، وَالْحَثَّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ إِدْخَالِ الْمُشَنَّقَةِ عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ١٨٢٧

٤ - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٢٥ / ١)

فَكَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَسْقَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تُمَّ قَامَ فَحَطَبَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الْمُضَعِّفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيمُونَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَقَتْ لَقْطَعًا مِنْ حُمَّدٍ يَدَهَا». ^١

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ حَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ فَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةٍ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدْمَيِّي مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِيًّا فِي بَيْنِ سَعْدٍ فَقَتَلَهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلَ رِبَا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ». ^٢

المساواة في العدل بين نساءه:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلَيْتُ فَلَا تَلْمِنِي فِيمَا تَمْلِي وَلَا أَمْلِكُ». ^٣

يعني القلب وهذا في العدل بين نساءه.

قال الشافعي رحمة الله: وبَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَ يُطَافُ بِهِ مَحْمُولاً فِي مَرْضِيهِ عَلَى نِسَائِهِ حَتَّى حَلَّنَاهُ. ^٤

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّهَ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لِإِيْنَهَا فَأَتَتْهُ بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ فَعَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشَهِّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا

١ - رواه البخاري - كتاب الحدود، باب، حديث رقم: ٦٧٨٨، ومسلم - كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنفسي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم: ١٦٨٨

٢ - رواه مسلم - كتاب الحج، باب حجۃ النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ١٢١٨

٣ - رواه أبو ذؤد - كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، حديث رقم: ٢١٣٤، والترمذي - أبواب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، حديث رقم: ١١٤٠، والنسانی - كتاب المزارعة، مین الریخل إلى بعض نساءه دون بعض، حديث رقم: ٣٩٤٣، وأبی ماچہ - أبواب النكاح، باب المرأة تھب يومها لصاحبتها، حديث رقم: ١٩٧١، والدارمي - ومن كتاب النكاح، باب في القسمة بين النساء حديث رقم: ٢٥٣، والبيهقي في السنن - كتاب القسم والنشوذ باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْلِئُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنَزَّلُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]، حديث رقم: ١٤٧٤٥، والحاكم - كتاب النكاح، حديث رقم: ٢٧٦١، بسنده فيه ضعف

٤ - رواه البيهقي في السنن - كتاب القسم والنشوذ، باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْلِئُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنَزَّلُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]، حديث رقم: ١٤٨٦١

وهبَت لِأَنِّي. فَأَخْدَى أَبِي بَيْدَى وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشَهِّدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِأَنِّي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بَشِيرُ أَلَّكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا». قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ: «أَكُلُّهُمْ وَهَبْتُ لَهُ مِثْلَ هَذَا». قَالَ لَا. قَالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذَا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ».

النبي صلى الله عليه وسلم أحق من يعدل من أهل الأرض:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْحُوْيَصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ». قَالَ: عُمُرُ بْنُ الْحَطَّابِ دَعَنِي أَضْرِبُ عُنْقَهُ فَقَالَ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَعْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتُهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامُهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيمَةِ يُنْظَرُ فِي قُدْسِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصِيبِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ أَوْ قَالَ ثَدِيَهُ مِثْلُ ثَدِي الْمَرْأَةِ أَوْ قَالَ مِثْلُ الْبَصْعَةِ تَدَرْدُرٌ يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهُدُ أَنَّ عَلَيَّاً قَتَلَهُمْ وَأَنَا مَعْهُ جَيَّءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَنَزَلتْ فِيهِ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ».

قوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ»، دليل على أنه لا يساويه ولا يدانيه أحد في العدل والإنصاف، حتى يقيد من نفسه، وسيأتي ما يبيّن ذلك غاية البيان.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنايم هوازن بين الناس بالجعرانة قام رجل من بنى تميم فقال: اعدل يا محمد فقام: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ حَبَّتْ وَحَسِرَتْ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ». قال: فقام عمر يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المُنافق قال: «مَعَادُ اللَّهِ أَنْ تَتَسَامَعَ الْأُمُمُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابًا لَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَّهُمْ يَمْرُقُ الْمِرْمَاهُ مِنَ الرَّمِيمَةِ».

١ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إداً أشهده، حدث رقم: ٢٦٥٠، ومسلم - كتاب الأهياء، باب كراهة بعض الأولاد في الأهياء، حدث رقم: ١٦٢٣

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلى، حدث رقم: ٦١٦٣، ومسلم - كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم حدث رقم: ١٠٦٤

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ: رَحْمَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَفِي رِحْلَيَ نَعْلٌ كَثِيفَةٌ، فَوَطَئَتْ إِلَيْهَا عَلَى رِجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَفَحَنِي نَفْحَةً بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي»، قَالَ: فَبِتُّ لِنَفْسِي لَائِمًا أَفُولُ: أَوْجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: أَيْنَ فُلَانُ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهُ الَّذِي كَانَ مِنِي بِالْأَمْسِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مُتَحَوْفٌ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ وَطَئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعْنِي، فَنَفَحْتُكَ نَفْحَةً بِالسَّوْطِ، فَهَذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً، فَحُدْهَا إِلَيْهَا».^١

وَعَنْ حَبَّانَ بْنِ وَاسِعٍ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قَدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَرِيَّةَ حَلِيفِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ النَّجَارِ قَالَ: وَهُوَ مُسْتَنْتَلِّ مِنَ الصَّفَّ، فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَدْحِ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: «اسْتَوِيْ يَا سَوَادُ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعْثَكَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ، فَأَقِدْنِي قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اسْتَقِدْ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ طَعَنْتَنِي وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ قَالَ: فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: «اسْتَقِدْ» قَالَ: فَاعْتَنَقْتُهُ، وَقَبَّلَ بَطْنَهُ، وَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَضَرَنِي مَا تَرَى، وَلَمْ آمِنْ الْفَتْلَ، فَأَرْدَثُ أَنْ يَكُونَ آخرُ الْعَهْدِ إِلَيْكَ أَنْ يَمْسِ حِلْدِي حِلْدَكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِخَيْرٍ.^٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَفْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ ثَرَاهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدَ الْحَسِيلِ وَالرَّابِعَ إِمَّا عَلْقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرَ بْنِ الطُّفَيْلِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هُؤُلَاءِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٤٨٢٠

٤ - رواه الدارمي - المقدمة، بابٌ في سخاء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٧٣، وصححه الألباني

٥ - رواه ابن إسحاق في السيرة (١٩٥ / ٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة - حديث رقم: ٢٥٥٠، وابن الأثير أسد الغابة (٢ / ٥٩٠)

٦ - وصححه الألباني أنظر السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨٣٥

«أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي حَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً». قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ مُشَرِّفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاسِرُ الْجَبَهَةِ كَثُرُ الْحَسِيْةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الإِزارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَقِنَ اللَّهَ فَقَالَ: «وَيْلَكَ أَوْلَئِكَ أَحَقُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَقَنَ اللَّهَ». قَالَ ثُمَّ وَلَى الرَّجُلُ فَقَالَ حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنْقَهُ فَقَالَ: «لَا لَعْلَهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلَّى». قَالَ حَالِدٌ وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشْقَى بُطُوْهُمْ». قَالَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقْفَى فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتَّلُوْنَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِرُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّوْمَةِ لَعِنْ أَدْرِكَتُهُمْ لَا قَتَّلَنَاهُمْ قَتْلَ ثُمُودَ».^١

أثر الظلم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُفْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْيَدُهُمْ هَوَاءُ﴾^٢

إذا أخذ الله الظالم لم يقلنته:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيْمَلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبَّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَيْمٌ شَدِيدٌ﴾^٣.

قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيْمَلِي لِلظَّالِمِ»: مِنَ الْإِمْلَاءِ أَيْ: يُمْهِلُهُ وَيُؤَخِّرُهُ وَيُطَوِّلُ عُمْرَهُ حَتَّى يَكْثُرَ مِنْهُ الظُّلْمُ «حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»: مِنَ الْإِفْلَاتِ وَهُوَ الْخُروجُ مِنْ ضِيقٍ مَعَ فَرَارٍ ذَكْرُهُ شَارِحٌ، وَالْمَعْنَى: لَمْ يَتَرْكُهُ، بَلْ أَخْذَهُ أَخْدًا شَدِيدًا^٤.

١ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وحاليد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجّة الوداع، حديث رقم: ٤٥١، ومسلم - كتاب الركوة، باب ذكر الحواري وصفاتهم، حديث رقم: ١٠٦٤

٢ - سورة إبراهيم: الآية /٤٢، ٤٣

٣ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبَّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَيْمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، حديث رقم: ٤٦٨٦، ومسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٣

٤ - مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايف (٨ / ٣٢٠٠)

وفيه الوعيد الشديد للظلم، وإنْ أُمِّهِلَ على ظلمه، ولم يُعاجل بالعقوبة، فإن الله تعالى (يمهل ولا يهمل). قال الله تعالى: ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].^{١.}

الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الظُّلُمَاتِ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^{٢.}

قال القاضي عياض: قيل: ظاهره أنه ظلمات على صاحبه حتى لا يهتدى يوم القيمة سبيلاً حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيامهم. وقد تكون الظلمات هنا: الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿فَلَمَنْ يُنْتَجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالبَّحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]، أي شدائدهما. وقد تكون الظلمات هاهنا عبارة عن الانكال بالعقوبات عليه، وقابل بهذه اللفظة قوله: «الظُّلُم» لمحانسة الكلام، كما قال تعالى: ﴿مُسْتَهْزِئُونَ (٤) إِنَّ اللَّهَ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].^{٣.}

١ - تطريز رياض الصالحين (ص: ١٦٥)

٢ - رواه البخاري - كتاب المظالم والغصب، باب: الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٤٤٧، ومسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٨

٣ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٨ / ٨)

مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ».^١

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ»، أَيْ: قدر شِبْرٍ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»، أَيْ: جُعلَ كالطوق في عنقه يوم القيمة وُكِلَّفَ حمله.

وَفِيهِ تَحْدِيدٌ عَظِيمٌ لِلْغَاصِبِ، وَوَعِيدٌ شَدِيدٌ عَلَى الظُّلْمِ.

قَالَ الْحَطَابِيُّ: لَهُ وَجْهَانَ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُكَلِّفُ نَقْلَ مَا ظَلَمَ مِنْهَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى الْمَحْشَرِ فَيَكُونُ كَالطوق فِي عُنْقِهِ.

وَالآخِرُ: أَنَّ يُعَاقِبَ بِالْخَسْفِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ الَّذِي بَعْدَهُ.

وَقَالَ النَّوْوَيِّ: وَأَمَا التَّطْوِيقُ فَقَالُوا يَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَاهُ أَنْ يَحْمِلْ مِنْهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ وَيُكَلِّفُ إِطَاقَتِهِ ذَلِكَ أَوْ يَجْعَلُ لَهُ كَالطوق فِي عُنْقِهِ وَيَطْوِلُ اللَّهُ عَنْقَهُ كَمَا جَاءَ فِي غُلْظَ جَلْدِ الْكَافِرِ وَعَظِيمُ ضَرْسِهِ أَوْ يَطْوِقُ اثْمَ ذَلِكَ وَيَلْزِمُ كَلْزُومَ الطوق بِعُنْقِهِ.^٢

عاقبة الظلم الها لاك في الدنيا قبل الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْفُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾.^٣

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيْنِ مِنْ قَرِيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبَنَا هَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَنَا هَا عَذَابًا ثُكْرًا * فَدَافَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَهُ أَمْرِهَا حُسْرًا﴾.^٤

١ - رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ، بَابُ إِثْمٍ مَنْ ظَلَمَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، حَدِيثُ رَقْمِ: ٢٤٥٣، وَمُسْنِيٌّ - كِتَابُ الْمُسَاقَةِ،

بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَعَصْبِ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، حَدِيثُ رَقْمِ: ١٦١٢

٢ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢ / ٢٩٨)

٣ - سورة الكهف: الآية/ ٥٩

٤ - سورة الطلاق: الآية/ ٧، ٨

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنُكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رُّكْبَمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ .^١

القصاص يوم القيمة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَؤْدُنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاهَةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاهَةِ الْفَرْنَاءِ».

قال الطيبي: «الجلحاء» - بامتداده - هي الجماء التي لا قرن لها، والقرناء ضده. وهذا تصريح بمحشر البهائم يوم القيمة وإعادتها كما يعاد أهل التكليف من الأدميين والأطفال والجانين، ومن لم تبلغه دعوة، ولعى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حَشَرْتُ﴾ [التكوير: ٥]، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهرة شرع ولا عقل وجوب حمله على ظاهره. قالوا: وليس من شرط الحشر والإعادة من القيمة المجازة والعقاب والثواب. وأما القصاص في القرناء والجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة.^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ، وَزَكَاءً، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدْفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ، هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِدَّ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَحْ فِي النَّارِ».

المفلس: اسم فاعل من أفلس: إذا صار مفلسا، أي: افتقر، وكأنه صارت دراهمه فلوسا، كما يقال: أجبن الرجل: إذا صار أصحابه جبناء، وأقطف: إذا صارت دابته قطوفا، ويجوز أن يراد به: إنه صار الرجل يقال فيه: ليس معه فلس، كما يقال: أقهر الرجل: إذا صار إلى حال يُقهر عليها، وأذل الرجل: إذا صار إلى حال يُذل فيها، وقد فلّسه القاضي تفليسا: نادى عليه: أنه أفلس.

١ - سورة إبراهيم: الآية / ١

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداء، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٢

٣ - شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (٣٢٥٦ / ١٠)

٤ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبَرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٥٨١

و(قوله: المفلس هو الذي يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكاة. . . الحديث) أي: هذا أحق باسم المفلس؛ إذ تؤخذ منه أعماله التي تعب في تصحيحها بشروطها، حتى قبلت منه، فلما كان وقت فقره إليها أخذت منه، ثم طُرح في النار. فلا إفلاس أعظم من هذا، ولا أخسر صفة من هذه حاله، ففيه ما يدل على وجوب السعي في التخلص من حقوق الناس في الدنيا بكل ممكن، والاجتهاد في ذلك، فإن لم يجد إلى ذلك سبيلا، فالإكثار من الأعمال الصالحة، فلعله بعد أخذ ما عليه تبقى له بقية راجحة، والرجو من كرم الكريم لمن صحت في الأداء نيته، وعجزت عن ذلك قدرته أن يرضي الله عنه خصومه، فيغفر للمطالب والمطلوب، ويوصلهم إلى أفضل محظوظ.^١

١ - المفہم لما اشکل من تلخیص کتاب مسلم (٥٦٣ / ٦)

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّجَاعَةُ

حَدُّ الشَّجَاعَةِ:

الشَّجَاعَةُ هِيَ: شِدَّةُ الْقَلْبِ فِي الْبَأْسِ.^١

وَقِيلَ: الشَّجَاعَةُ هِيَةٌ حاصلَةٌ لِلْقُوَّةِ الغَضْبِيَّةِ بَيْنِ التَّهُورِ وَالْجُبْنِ.^٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكْثُوا إِيمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً أَخْتَشُوهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحْقُّ أَنْ تَخْشُوهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.^٣

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَاحْشُوْنَ﴾.^٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ﴾.^٥

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْجَدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».^٦

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَرِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ فَتَلَاقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَأْبِي طَلْحَةَ عُرْبِي فِي عُنْقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا مَمْ تُرَاعُوا». قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ». قَالَ وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأً.^٧

١ - لسان العرب (٨ / ١٧٣)

٢ - التعريفات (١ / ١٦٥)

٣ - سورة التوبه: الآية / ١

٤ - سورة المائدة: الآية / ٤

٥ - سورة البقرة: الآية / ٤٠

٦ - رواه الدارمي - بابُ في حُسْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٦٠، بسنده رجاله ثقات

٧ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسيير، باب الشجاعة في الحرب والجن، حديث رقم: ٢٨٢٠، ومسلم - كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقديمه للحرب، حديث رقم: ٢٣٠٧

وعن عليٍ رضي الله عنه قال: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ». ^١

كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، وأربطهم جأشاً، وقد تواترت الأخبار بذلك كما سيأتي بيانه، فكان يثبت حين يفر الكماة الأبطال، ويقدم حين يحجم الشجعان، ويتقي به أصحابه إذا أشتد البأس وحمي الوطيس.

من صور شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان التقفي وكان واعية قال قديم رجل من إراش بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله باثناها. فأقبل الإراسي حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد الجالس فقال يا معاشر قريش من رجل يؤذني على أبي الحكم بن هشام فإني رجل غريب ابن سبيل وقد علبني على حقي؟ فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس - رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهُم يهزرون به لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ جَهْلٍ مِنَ الْعَدَاوَةِ - اذهب إليه يؤذيك عليه فأقبل الإراسي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله إن أبي الحكم بن هشام قد علبني على حقي لي قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤذني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك، فخذلي حقي منه يرحمك الله، قال انطلق إليه وقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام معه قالوا لرجل من معهم اتبعه فانتظر ماذا يصنع. قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا؟ قال محمد فاخرج إلى. فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتفع لونه. فقال: أعط هذا الرجل حقي. قال: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه. قال ثم اصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراسي الحق بشأنك، فأقبل الإراسي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله حيراً، فقد وآله أحد لي حقي. قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحلك ماذا رأيت؟ قال عجبًا من العجب وأله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال له أعط هذا حقه فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه. قال ثم لم يلبث أبو جهل أن

١ - رواه الحاكم - كتاب فسم القيء، حديث رقم: ٢٦٣٣، والنسائي في السنن الكبرى - كتاب السير، مباشرة الإمام الحزب بنفسه، حديث رقم: ٨٥٨٥، بسنده صحيح

جاءَ فَقَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ قَطْ. قَالَ: وَيْحَكُمْ وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بَأْيِي، وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ فَمُلِئْتُ رُعْبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَخْلًا مِنَ الْإِبْلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامِتِهِ وَلَا قَصَرَتِهِ وَلَا أَنْيابِهِ لِفَخْلٍ قَطْ، وَاللهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي.

مِنْ صُورِ شَجَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مواجهة المشركين الذين تعاقدوا على قتلِه، وأعلنوا بذلك على الملأ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: إنَّ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْجَبْرِ، فَتَعَاقدُوا بِاللَّاتِ وَالْعَزَى، وَمَنَّاةَ التَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا، لَقَدْ قُمنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَفْتَلَهُ، فَأَفْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تبكي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ تَعَاقدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ، لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: "يَا بُنْيَةُ، أَرِنِي وَضُوءًا" فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوهُ، قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَحَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقْعُدْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَأَفْقَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: "شَاهِتِ الْوُجُوهُ" ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاءً إِلَّا قُلِّلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا.

وَعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرُ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعُ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْجَبْرِ، فَدَكَرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَهَ أَحَادِيمَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ أَهْلَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: فَبِيَمَا هُمْ كَذِيلَكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَفْقَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمْرُوهُ بِيَعْضِ الْقَوْلِ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، غَمْرُوهُ بِمَتْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الْثَّالِثَةَ، فَغَمْرُوهُ بِمَتْلِهَا، فَقَالَ: «تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ حِتَّكُمْ بِالْذَّبْحِ»، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَأَنَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ

١ - الروض الأنف (٢/١٧٦)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٦٢، بسنده حسن

أشدّهم فيه وصاًةً قبل ذلك ليرفوه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنّه يقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جھولاً، قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان العد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكركم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تذكرهون ترکعوه فبینما هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبتة رجل واحد، فاحتاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم عنه من عيوب آهائهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أحد مجتمع ردائيه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، دونه، يقول وهو يبكي: ﴿أَنْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّ اللَّهِ﴾ [غافر: ٢٨]؟ ثم اصرروا عنده، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قطُّ.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداهما له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمين والكفار ول المسلمين مدبرين فطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بعلته قبل الكفار قال عباس وأنا أخذ بعلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفهم إرادة أن لا سرّع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي عباس ناد أصحاب السمرة». فقال عباس وكان رجلاً صيّتاً فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. قالوا يا ليتك يا ليتك. فاقتتلوا والكفار، والدّعوة في الأنصار يقولون يا معاشر الأنصار يا معاشر الأنصار قال ثم قصرت الدّعوة علىبني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بنى الحارث يا بنى الخزرج قال ثم قصرت الدّعوة علىبني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بنى الحارث بن الخزرج يا بنى الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على بعلته كالمتطاول عليها إلى قاتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا حين حمي الوطيس». قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: «انهزموا ورب محمد». قال فذهبت أنظر فإذا

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٧٠٣٦، وابن حبان - كتاب التاريخ، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر بعض أذى المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند دعوتهم إلى الإسلام، حديث رقم: ٦٥٦٧، والبزار - حديث رقم: ٢٤٩٧

بسند حسن

القتال على هيئة فيما أرى فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدتهم كليلاً وأمرهم مدبراً.^١

عن شيبة بن عثمان رضي الله عنه، قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، والله ما أحرجني الإسلام، ولا معرفة به، ولكنني أتفت أن تظهر هوازن على قريش، فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله، إني أرى حيلاً بلقاء؟ قال: "يا شيبة، إله لا يراها إلا كافر"، فضرب بيده على صدري، ثم قال: "اللهم اهد شيبة"، ثم ضربها الثانية، ثم قال: "اللهم اهد شيبة"، ثم ضربها الثالثة، فقال: "اللهم اهد شيبة"، فوالله ما رفع يده من صدري من الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه، قال: فالتقى الناس، والنبي صلى الله عليه وسلم على ناقة أو بغلة، وعمر آخذ بيلجامه، والعباس بن عبد المطلب أحد ينفر ذاته، فأنهم المسلمون، فنادى العباس بصوته له جهير، فقال: أين المهاجرتون الأولون؟ أين أصحاب سورة البقرة؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول قدمًا: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"، فعطف المسلمين فاصطكوا بالسيوف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن حمي الوطيس"، قال: وهرام الله المشركيين.^٢

وعن أبي إسحاق، قال: قال رجل للبراء وهو يمزح معه: قد فرمت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتم أصحابه، قال البراء: إني لأشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما فر يومئذ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم حفر الحندق، وهو ينفل مع الناس التراب، وهو يتمثل كلاماً ابن رواحة:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لافقنا

إن الألى قد بعوا علينا ... وإن أرادوا فتننا أبينا

يمد بحنا صوتة.^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب في عزوة حنين، حديث رقم: ١٧٧٥

٢ - رواه الطبراني - حديث رقم: ٧١٩١

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨٤٨٦ ، بسنده صحيح

ذَمُّ الْجُنُونِ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شُرُّ ما في الرجل شُحٌّ
هالِعٌ وَجُبْنٌ حَالِعٌ».^١

أي: شُرُّ صفةٍ في الرجل شُحٌّ يحمل صاحبه على الجزع إذا مسه الشرُّ، ويحمله على المنع إذا مسه
الخير، وَجُبْنٌ يخلع فؤاده من شدة الخوف، وجاء لفظ (شُحٌّ) نكرة تحييراً له وحططاً لرتبه.

قال الطيب: قوله: «شُحٌّ هالِعٌ»: الشح: بخل مع حرص، فهو أبلغ في المنع من البخل، فالبخل
يستعمل في الضئنة بالمال، والشح في ساتر ما تمنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال، أو
المعروف، أو طاعة. الهملاع: أفحش الجزع. وهلم - بالكسر - فهو همل وهملاع، ومعناه: أنه يهزع في
شحه أشد الجزع على استخراج الحق منه. قوله: «شُحٌّ هالِعٌ» أي: ذو همل، كما يقال: يوم
 العاصف، وليل نائم، ويحتمل أيضاً أن يقول: هالع مكان خالع للازدواج.

وأقول: يحتمل أن يحمل على الإسناد المجازي، فيسند إلى الشح ما هو مسند إلى صاحبه مبالغة،
وعلى الاستعارة المكنية بأن يشبه الشح بإنسان ثم يوصف بما يلازم الإنسان من الهملاع، والهملاع: ما
فسره الله تعالى، سئل أحمد بن حمبي عن الهملاع، فما زاد على ما فسره الله تعالى من قوله: ﴿إِذَا مَسَهُ
الشَّرُّ جَرُوعًا وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مُنْوِعًا﴾ [المعارج: ٢٢]، قوله: «وَجُبْنٌ حَالِعٌ»: أي شديد، كأنه يخلع
فؤاده من شدة خوفه، وهو مجاز عن الخلع والمراد به: ما يعرض من أنواع الأفكار، وضعف القلب
عند الخوف.^٢

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجُنُونِ:

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٢٦٣، وابن حبان - كتاب الزكاة، باب الوعيد لمن اتى الزكوة، ذكر التجزير عن استعمال الشح في
فرائض الله، والجبن في قتال أعداء الله جل وعلا، حديث رقم: ٣٢٥٠، بسنده صحيح

٢ - شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (٥ / ١٥٣٠)

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا هُؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا تُعَلِّمُ الْكِتَابَةَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجِنْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ». ^١

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهِ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِمَا لَهُنَّ مِنَ الْأَثْرِ فِي النُّفُوسِ؛ لِأَنَّهُم مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْهَلَالِكَ بِاعتِبَارِ مَا يَتَسَبَّبُ عَنْهُم مِنَ الْمُعَاصِي.

أوْلَاهَا: الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ، وَهُوَ أَدْوَءُ دَاءٍ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟» رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي الْأَدْبَرِ الْمُفَرِّدِ، وَهُوَ مَنْعُ الْحَقِّ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَمْوَالِ، وَهُوَ الرِّزْكَةُ، وَقَدْ يَكُونُ الْبُخْلُ فِي غَيْرِ الْمَالِ، كَالْبُخْلُ بِالسَّلَامِ وَالْبُخْلُ بِالْجَاهِ، فَلَا يَشْفَعُ لِغَيْرِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ بِكَلْمَهِ، وَيَقْدِمُ يَكُونُ بِذَلِلِ الْعِلْمِ، وَإِسْدَاعِ النَّصْحِ، وَأَبْخَلَ النَّاسَ الَّذِي يَذْكُرُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَصْلِي عَلَيْهِ.

وَثَانِيَهَا الْجِنْ، وَهُوَ الْمَهَابُ لِلأَشْيَاءِ وَالْإِحْجَامُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ، وَمِنْهُ الْجِنْ عَنْ مَقَاتِلَةِ الْأَعْدَاءِ، وَالْهُبَّةُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَالصَّدْعُ بِهِ.

وَثَالِثَهَا: الرَّدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ؛ وَهُوَ الْبُلُوغُ إِلَى حَدٍّ فِي الْهُرْمَ يَعُودُ مَعَهُ كَالْطِفَلِ فِي سَحَّافِ الْعُقْلِ وَقِلَّةِ الْقُوَّمِ، وَضَعْفِ الْقُوَّةِ.

وَرَابِعَهَا فِتْنَةُ الدُّنْيَا: وَهِيَ الْإِفْتَنَانُ بِزَخَارِفِهَا وَالْأَغْتَرُ بِشَهْوَاتِهَا الْمُفْضِي إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ مَا حُلِقَ لَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وَخَامِسَهَا عَذَابِ الْقَبْرِ: لِأَنَّهُ أُولُو مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَمَنْ نَجَا مِنْهَا نَجَا مِمَّا بَعْدِهِ.

وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجِنِّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ». ^٢

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِهِذِهِ الْكَلِمَاتِ تَذَلُّلاً لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِتِبَادَةِ الْقُرْبَى وَتَعْلِيمًا لِلْأُمَّةِ لِتِتَّأْسُوا بِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ الْمُتَقْدِمِ.

١ - رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، حَدِيثُ رقم: ٦٣٩٠

٢ - رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، حَدِيثُ رقم: ٦٣٧١

وعن أبي سعیدٍ رضي الله عنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْنَعُنَّ أَحَدُكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَأَهُ أَوْ شَهَدَهُ أَوْ سَمِعَهُ». قالَ أَبُو سَعِيدٍ وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ.^١

يحدّرنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تضييع الحقوق بالتفريط فيها، وعدم نصرة المظلوم هيبةً من الناس، وخوف ملامتهم؛ لما فيه من انتشار الظلم، وضياع الحقوق.

عن أبي سعیدٍ الحذری رضي الله عنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَخْفَرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ لَا يَقُولُ بِهِ فَيَلْقَى اللَّهَ فَيَقُولُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي حَشِيتُ النَّاسَ قَالَ: قَالَ إِيَّاَيَ أَحَقُّ أَنْ تَحْشِيَ^٢».

فيه التحذير من الإحجام عن نصرة الحق بسبب خشية الناس والهيبة منهم.

يقول المهاجماً غاندي: في حديث لجريدة (ينج إنديا): أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها أكتسب الإسلام مكانته؛ بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع دقه وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتحطمت المصاعب وليس السيف، بعد انتهاءي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١١٠١٧، والترمذى - أبواب الفتن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء ما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيمة، حديث رقم: ٢١٩١، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم: ٤٠٠٧، بسنده صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٢٥٥، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم: ٤٠٠٨، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٤٨٨٧، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢٢٢٠، بسنده ضعيف

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوَاضُعُ

حَدُّ التَّوَاضُعُ:

الْتَّوَاضُعُ هُوَ الْخُضُوعُ لِلْحَقِّ وَالْانْقِيادُ لِهِ.

مِنْ صُورِ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كَرَاهِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَمَيَّزَ عَنِ الْأَصْحَابِ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ زَمِيلَهُ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَيُّ، وَأَبُو لَبَابَةَ، فَإِذَا حَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَا: إِرْكِبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى نُمْشِي عَنْكَ، فَيَقُولُ: «مَا أَنْتُمَا بِأَفْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا».^١

فَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْتُمَا بِأَفْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا»، لَتَرِي مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ حَسْنِ الْعُشْرَةِ، وَغَایَةِ التَّوَاضُعِ، وَمِكَارِ الْأَخْلَاقِ، مَعَ مُحْبَّةِ الْأَصْحَابِ لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُسَارِعَةِ لِشَرْفِ خَدْمَتِهِ.

قال الطيبى: فيه إظهار غاية التواضع منه صلوات الله عليه، والمواساة مع الرفقاء والافتقار إلى الله تعالى.^٢

كَرَاهِيَّتُهُ أَنْ يَقُومَ لَهُ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَنَّسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْبِلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْهُ فَمَا نَفْعُلُ لَهُ لِمَا نَعْلَمُ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِذَلِكَ».^٣

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّلًا عَلَى عَصَمِهِ فَقُلْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تَقْفُومُوا كَمَا تَقْفُومُ الْأَعْاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا».

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٩٠١، والحاكم - كتاب المغازى والسترايا، حديث رقم: ٤٢٩٩ ، بسنده حسن

٢ - شرح المشكاة للطبي الكافش عن حقائق السنن (٨ / ٢٦٨٧)

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٥٢٦ ، بسنده صحيح

وعن عمرو بن مرتة الجهمي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يتمثل له الرجال بين يديه قياماً فليتبوا مفعده من النار».^١

وعن أبي محلر قال خرج معاوية رضي الله عنه، فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان رضي الله عنهم حين رأوه فقال أجلسنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سرّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوا مفعده من النار».^٢

نفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن القيام له مع ما أمروا به من توقيره وتعظيم شأنه، لعظيم تواضعه، وكراهيته للكبر.

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: اشتكي رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يكرب يسمع الناس تكبيرة فالتفت إلينا فرأينا فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال: «إن كدتم آنفًا تفعلون فعل فارس والروم يفهون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا اثتموا بأئمتكم إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً».^٣

قال ابن القيم: والقيام ينقسم إلى ثلاث مراتب:

قيام على رأس الرجل وهو فعل الجبارة، وقيام إليه عند قدمه ولا بأس به، وقيام له عند رؤيته وهو المتنازع فيه. انتهى.

ومن صور تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ذكره لفقره:

من صور تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ذكره لفقره وإعلانه أنه واحد من الناس، لا يختلف عنهم إلا بما أكرمه الله تعالى من الرسالة والوحى.

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢١٨١، أبو داود - كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في قيام الرجل للرجل، حديث رقم: ٥٢٣٠، بسند ضعيف

٥ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٥٢، والأوسط - حديث رقم: ٤٢٠٨

٦ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في قيام الرجل للرجل، حديث رقم: ٥٢٢٩، الترمذى - باب ما جاء في كراهيته قيام الرجل للرجل، حديث رقم: ٢٧٥٥، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨١٩، وابن أبي شيبة - حديث رقم: ٢٥٥٨٢، بسند صحيح

٧ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، باب اتّمام المأمور بالآماد، حديث رقم: ٤٠١٣

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلْهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^١.

ولم يكن هذا حال النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحده بل هذا هو حال الرسل جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ تَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^٢.

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعل ثرعد فرأصمه فقال له: «هَوْنُ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ إِمْلَكَ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى العَنْمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ».^٤

من صور تواضع النبي صلى الله عليه وسلم البعد عن مظاهر الترف والتکلف:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها: «اتقى الله واصبر». فقالت: إلينك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فأتت بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عنده بواطن فقالت: يا رسول الله إيني لم أغير قلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصبر عند أول الصدمة».^٥

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فقال القوم هذا عدي بن حاتم وحيث بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت إليه أحذ بيدي

١ - سورة الكهف: الآية/ ١١٠

٢ - سورة إبراهيم: الآية / ١١

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الأطعمة، باب القديد، حديث رقم: ٣٣١٢، بسند صحيح

٤ - رواه البخاري - كتاب الإجارة، باب رعي العنم على قراريط، حديث رقم: ٢٢٦٢

٥ - رواه البخاري - كتاب الأحكام، باب زيارة الفبور، حديث رقم: ١٢٨٣، ومسلم - كتاب الجنائز، باب في الصبر على المضيصة عند أول الصدمة، حديث رقم: ٩٢٦

وقد كان قال قبل ذلك: إني لآرجو أن يجعل الله يده في يدي. قال: فقام فلقيته امرأة وصيّى معها فقالاً: إن لنا إليك حاجة. فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيديه حتى أتى بي داره فألقى له الوليدة وساده فجلس عليها وجلس بيده فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله فهل تعلم من إله سوى الله؟ قال: قلت لا. قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: إنما تفرد أن تقول الله أكبر، وتعلم أن شيئاً أكبر من الله؟ قال: قلت لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال. قال: قلت فإني جئت مسلماً. قال: فرأيت وجهه تبسط فرحاً».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت».^١

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمري، عن رجل، من بنى سالم - أو فهير -، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بكم، قال: فنظر فلم يجد شيئاً يضعها فيه، فقال: «ضعف بالخبيض، فإنما هو عبد يا كل العبد، ويشرب كما يشرب العبد، ولو كانت الدنيا ثمناً عند الله جناح بعوضة، ما أعطى كافراً منها جرعة ماء».^٢

عن أنس بن مالك، قال: حج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل، رث، وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حجة لا رباء فيها، ولا سمعة».^٣

ومن صور تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ركوب الحمار وإذاته عليه:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رذف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيديه وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: «يا معاذ بن جبل». قلت لبيك رسول الله وسعدتك. ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ بن جبل». قلت لبيك رسول الله وسعدتك. ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ بن جبل».

١ - رواه الترمذى - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب، حدث رقم: ٢٩٥٣، والطبرانى في الكبير - حدث رقم: ٢٣٦

٢ - رواه البخارى - كتاب الأدب، باب الكبير، حدث رقم: ٦٠٧٢

٣ - رواه ابن أبي شيبة - في مسنده، حدث رقم: ٩٦٣، وفي المصنف - حدث رقم: ٣٤٣٢٤، ورواه البزار عن أبي هريرة، حدث رقم: ٩٥٤٦

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب المتناسك، باب الحج على الرحل، حدث رقم: ٢٨٩٠، والبزار - حدث رقم: ٧٣٤٣، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٠٨)، وابن أبي شيبة - كتاب الحج، في الحج على الرحل أفضل من المحمل، حدث رقم: ١٥٨٠٥، بسند صحيح

فُلْتُ لَبَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيَكَ . قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ » . قَالَ فُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعاذَ بْنَ جَبَلٍ » . فُلْتُ لَبَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيَكَ . قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ » . قَالَ فُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « أَنْ لَا يُعِذَّبُهُمْ » .^١

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا عَلَامُ أَوْ يَا عَلَيْهِمْ أَلَا أَعْلَمُكُمْ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكُمْ اللَّهُ يَهْيَ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ أَمَانَكَ تَعْرَفُ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلْمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلُّهُمْ جَيِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوكُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَصْرُووكُمْ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوكُمْ عَلَيْهِ وَأَنَّهُمْ أَرَادُوكُمْ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوكُمْ عَلَيْهِ وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّابِرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرِبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » .^٢

وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْوُدُ الْمَرِيضَ، وَيُشَيِّعُ الْجِنَاحَةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، وَيَرْكِبُ الْحِمَارَ، وَكَانَ يَوْمَ قُرْبَةَ، وَالنَّاضِرِ عَلَى حِمَارٍ، وَيَوْمَ حِمَرَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِرَسَنٍ مِنْ لِيفٍ، وَتَحْتَهُ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ .^٣

مِنْ صُورِ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجَابَةً دَعْوَةِ الْفُقَرَاءِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجْبَثُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ » .^٤

١ - رواه البخاري - كتاب التبليس، باب إزداف الرجل خلف الرجل، حدث رقم: ٥٩٦٧، ومسنون - كتاب الإيمان، باب من نقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، حدث رقم: ٣٠

٢ - رواه أحمد - حدث رقم: ٢٨٠٣، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والوزع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حدث رقم: ٢٥١٦، والحاكم في المستدرك - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حدث رقم: ٦٣٠٣، والطبراني في الكبير - حدث رقم: ١١٥٦٠، والأوسط - حدث رقم: ٥٤١٧، والبيهقي في الشعب - حدث رقم: ٩٥٢٩، بسند صحيح

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الرهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، حدث رقم: ٤١٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان - حسن الخلق، فصل في التواضع وترك الزهو والصلف والخيلاء والفحش والمدح، حدث رقم: ٧٨٤١، والحاكم في المستدرك - كتاب التفسير، حدث رقم: ٣٧٣٤، وقال هذا حدث صحيح الإسناد وافقه الذهبي

٤ - رواه البخاري - كتاب النكاح، باب من أجاب إلى كراع، حدث رقم: ٤٨٨٥

مِنْ صُورِ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِدْمَةُ أَهْلِهِ:

عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ حَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ».^١

قال المهلب: هذا من فعله، عليه السلام، على سبيل التواضع وليس لأمته ذلك، فمن السنة أن ينتهن الإنسان نفسه في بيته فيما يحتاج إليه من أمر دنياه وما يعينه على دينه، وليس الترفه في هذا بمحمود ولا من سبيل الصالحين، وإنما ذلك من سير الأعاجم.^٢

وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا قَالَتْ: «نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخْبِطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ».^٣

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، حديث رقم: ٥٦٩٩

٢ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/٥٤٢)

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٥٥٧، ورواه البخاري في الأدب المفرد - باب ما يعمل الرجل في بيته، حديث رقم: ٢٤٨٠٣

من صور تواضعه صلى الله عليه وسلم إثارة الآخرة على الدنيا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلِكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ جِبْرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ الْمَلَكُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُخِيرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا فَالْتَّفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَالْمُسْتَشِيرِ لَهُ فَأَشَارَ جِبْرِيلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَوَاضَعْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَكُونُ عَبْدًا نَبِيًّا». قَالَ فَمَا أَكَلَ بَعْدَ تِلْكَ الْكَلِمَةِ طَعَاماً مُتَّكِئاً حَتَّى لَقِيَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.^١

قال مجاهد: لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم متكتئاً قط إلا مرة ففرغ فجلس فقال: "اللهم إني عبدك ورسولك".

قال ابن الملقن: ومن أكل متكتئاً فلم يأتِ حراماً، وإنما يكره ذلك؛ لأنَّه خلاف التواضع الذي اختاره الله لأنبيائه، وصفوته من خلقه، وقد أجاز ابن سيرين والزهري الأكل متكتئاً.^٢

من صور تواضعه صلى الله عليه وسلم مخالطة الناس:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْخُورًا﴾.^٣

قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، وابن أبي تحيّح، ويحيى بن عباد، قالوا: «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف بذي طوى، وهو معتصر ببرد حبرة، فلما اجتمعت عليه حبرة، ورأى ما أكرمته الله به تواضع لله حتى إن عثنة لتنمس واسطة رحله».^٤

١ - رواه النسائي في الكبرى - كتاب الوليمة، الأكل متكتئاً، حديث رقم: ٦٥٣٨ ، والبيهقي في السنن - كتاب النكاح، جماع أبواب ما خص به صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ١٢٤٥٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة - باب ذكر أخبار رویت في زهده في الدنيا وصبره على القوت، حديث رقم: ٢٨٥ ، وابن المبارك في الزهد - باب ما جاء في ذم التنّعم في الدنيا، حديث رقم: ٧٦٦ ،

٢ - التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٤٨ / ٢٦)

٣ - سورة الفرقان: الآية/ ٨ ، ٧

٤ - الزهد لعبد الله بن المبارك - باب في التواضع وگراهية الكبير (٥٣ / ٢)

مِنْ صُورِ تَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَاضُعُهُ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْكِي الْمَوْتَىٰ». قَالَ أَوَمْ ثُوْمَنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي. وَيَرْحُمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبِثِ يُوسُفَ لَأَجْبَثُ الدَّاعِيَ». ^١

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: ليس في قوله: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»، اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهم، يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرب في قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك ولا يرتاب، وقال ذلك على سبيل التواضع، والهضم من النفس. ^٢

وقال النووي رحمه الله: اختلف العلماء في معنى نحن أحق بالشك مِنْ إِبْرَاهِيمَ على أقوال كثيرة أحاسنها وأصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء: معناه أن الشك مستحبيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرفا إلى الأنبياء لكونت أنا أحق به مِنْ إِبْرَاهِيمَ وقد علمتم أي لم أشك فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك، وإنما حصل إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُونِ الْآيَةِ قَدْ يَسْبِقُ إِلَى بَعْضِ الْأَدْهَانِ الْفَاسِدَةِ مِنْهَا إِحْتِمَالُ الشَّكِ وإنما رجع إبراهيم على نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَاضُعًا وَادِبًا أَوْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَلَدَ آدَمَ.

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله عَزَّ وَجَلَ: «وَيَنْهَمُ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَحَلُوا عَلَيْهِ» [الحجر: ٥٢]، حديث رقم: ٣٣٧٢، ورواه مسلم - كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بظهور الأدلة، حديث رقم: ١٥١

٢ - شرح السنة للبغوي (١ / ١١٦)

٣ - شرح النووي على مسلم (١ / ٢٧٧)

وَعَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِّيَّةِ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَاكٌ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ». ^١

قال ابن هبيرة: هذا من رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبَرِّ، فَإِنَّ الْوَالِدَ إِذَا فَضَلَ عَلَيْهِ وَلَدَهُ قَدْ يُسْرِهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا إِذَا قَالَ الْوَلَدُ لِنَفْسِهِ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ، لَمْ يُسْرِهِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَفْضُلَ نَفْسَهُ عَلَى أَبِيهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ فَضْلَهُ. ^٢

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا يَتَبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ». ^٣

قال الطيبى: إنما خص يونس بالذكر لأن الله تعالى لم يذكره في جملة أولى العزم من الرسل، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، فقصر به عن مراتب أولى العزم والصبر من الرسل، بقوله صلى الله عليه وآلها وبارك وسلم: إذا لم آذن لكم أن تفضلوني على يونس بن متى، فلا يجوز لكم أن تفضلوني على غيره من ذوي العزم من أجلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا منه صلى الله عليه وسلم على التواضع والهضم من نفسه، وليس ذلك بمخالف لقوله: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرٌ»؛ لأنَّه لم يقل ذلك مفتخرًا ولا متطاولاً به على الخلق، وإنما قال ذلك ذاكراً للنعمَة ومتعرضاً بالمعنة فيه، وأراد بالسيادة ما يكرم به في القيمة من الشفاعة، وعلى هذا المعنى ينبغي أن يقول قوله: «مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فَقَدْ كَذَبَ»؛ لأنَّ المراد أنا خير في النبوة والرسالة؛ كما قالَ الله تَعَالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] والله أعلم. ^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب مِنْ فَضَائِلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٣٦٩

٢ - الإفحاص عن معانِي الصحاح (٥ / ٤٠)

٣ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات: ١٣٩]، حديث رقم:

٤ - مسلم - كتاب الفضائل، باب في ذِكْرِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يَتَبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَّ

خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، حديث رقم: ٢٣٧٧

٥ - شرح المشكاة للطيبى الكاشف عن حقائق السنن (١١ / ٣٦١١)

قال واشنطن إيرفنج: برغم انتصارات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكرية لم تشر هذه الانتصارات كبراءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به، وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثياً لأسرته.

فضل التواضع:

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ حَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي» وَسَاقَ الْحَدِيثَ يِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَزَادَ فِيهِ «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».^١

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».^٢

كيف تحقق التواضع:

قبول الحق من جاء به.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبِيرٍ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبَهُ حَسَنًا وَنَعْلَهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَيْلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبِيرَ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمْطُ النَّاسِ».^٣

وبطْرُ الْحَقِّ يعني دفعه وعدم قبوله أو الاستجابة له، ومن كان هذا شأنه كان أبعد الناس عن التواضع.

ترك التعالي على الناس واذراءهم.

قيل في تعريف التواضع: ألا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.

واذراء الناس واحتقارهم من أظهر الدلائل على الكبر، أن يحتقر هذا لأنه ليس من أشرف الناس، فيحتقره لنسبه أو مهنته أو بلده أو للونه أو غير ذلك.

١ - رواه مسلم - كتاب الجننة وصفة نعيماً وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجننة وأهل النار، حديث رقم:

٢٨٦٥

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: ٢٥٨٨

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ١٥٦

وقد دل على ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَمِطُ النَّاسِ». ومعنى غمط الناس ازدراهم واحتقارهم.

ومما يعين على ترك التعالي على الناس وعدم ازدراهم، السلام على من تلقاه منهم، الصغير والكبير والغني والفقير، والشريف والضعيف.

الرِّضَا بِالدُّونِ مِنْ شَرَفِ الْمَجَالِسِ

فإن من الناس من لا يرضى إلا بالجلوس في الصدارة والصف الأول، فإن لم يجد مكانا في الصف الأول انتفخت أوداجه، واحمر وجهه، وثارت حفيظته، ولا يرضى بالجلوس حيث انتهى به المجلس ولا شك أن هذا نوع من الكبر.

فعن طلحة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ
لِلَّهِ، الرِّضَا بِالدُّونِ مِنْ شَرَفِ الْمَجَالِسِ».^١

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٢٠٥، بسنده حسن

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبْرُ

حد الصَّبْرِ:

الصَّبْرُ: حبس النفس على المكاره.

وقيل: الصَّبْرُ هو: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا تَحْنُ نَرْوُقَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^{١.}

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الدِّيْنِ نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾^{٢.}

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^{٣.}

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^{٤.}

مِنْ صُورِ صَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا أَعْطَى الْأَقْرَعَ مِائَةً مِنِ الْإِبْلِ وَأَعْطَى عِيَّنَةً مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى نَاسًا فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدُ بِهِنْدِهِ

١ - سورة طه: الآية / ١٣٢

٢ - سورة غافر: الآية / ٧٧

٣ - سورة غافر: الآية / ٥٥

٤ - سورة هود: الآية / ٤٩

القِسْمَةِ وَجْهُ اللَّهِ فَقُلْتُ: لَأُحْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَحْمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». ^١

مِنْ صُورِ صَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبْرُ عَنْ مَعَاقِبَةِ مَنْ مَثَلَ بِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحْدِي نَظَرَ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ قُتِلَ وَمُثَلَّ بِهِ، فَرَأَى مَنْظَرًا لَمْ يَرَ مَنْظَرًا قَطُّ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ وَلَا أَوْجَلَ، فَقَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ كُنْتَ وَصُولاً لِلرَّحْمَمِ، فَعُولَا لِلْحَيْرَاتِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّيْنِي أَنْ أَدْعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاجِ شَيْئٍ»، ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ: «وَاللَّهِ لَا مِتَّلَنَ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ»، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرُخْ بَعْدُ: ﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. [النحل: ١٢٦]، حَتَّى تُخْتَمِ السُّورَةُ، فَكَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْسَكَ عَمَّا أَرَادَ». ^٢

مِنْ صُورِ صَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبْرُ عَلَى أَذَى الْمُنَافِقِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُدُنْ قُلْ أُدُنْ حَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ^٣

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَدْنَ لِي وَلَا تَقْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. ^٤

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾. ^٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْزَرَ مِنْهَا الْأَدَلَّ﴾. ^٦

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْخَضِيرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حَدِيثُ رقم: ٣٤٠٥، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الرِّزْكَةِ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤْفَقَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصِيرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، حَدِيثُ رقم: ١٠٦٢

٢ - رَوَاهُ الْحَاكِمُ - كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَدِيثُ رقم: ٤٨٩٤، وَالظَّرَبَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ - حَدِيثُ رقم: ٢٩٣٧

٣ - سُورَةُ التُّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٦١

٤ - سُورَةُ التُّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٤٩

٥ - سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ: الْآيَةُ / ٧

٦ - سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ: الْآيَةُ / ٨

عن جابر بن عبد الله قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة، فگستَعَ رجُلٌ من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بآل دعوى الجاهليّة؟» قالوا: يا رسول الله كسعَ رجلٌ من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوهَا، فإنَّا مُنتَهٌ» فسمِعَها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوهَا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَ الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنقَ هذا المُنافق، فقال: «دعْهُ، لا يَتَحدَثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». ^١

من صور صبر النبي صلى الله عليه وسلم الصبر على البلاء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو يوعك فمسسته فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديداً. قال: «أجل إني أوعل كما يوعك رجالان منكم». قال قلت: لأن لك أجرين. قال: «نعم والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحيط الشجرة ورقتها». ^٢

من صور صبر النبي صلى الله عليه وسلم الصبر على أذى المشركين:

عن عائشة رضي الله عنها أها قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسك على ابن عبد ياليل بن عبد كلل فلم يجنب إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استيق إلأ بقرن الشعالي فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جباريل فناداني فقال إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما زدوا عليك وقد بعث إلينك ملك الجن لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجن وسلم على ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجن وقد بعثني ربكم إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْزَمِينَ مِنْهَا الْأَذَلَّ، وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ الْمَنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، حديث رقم: ٤٩٠٧، ومسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب نصر الأئخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم: ٢٥٨٤

٢ - رواه البخاري - كتاب المرتضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأشد، حديث رقم: ٥٦٤٨، ورواية مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو تحز ذلك حتى الشوكه يشاكها، حديث رقم: ٢٥٧١

أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينِ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَاهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».^١

وعنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أَخْفَتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخافُ أَحَدُ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدُ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ لَيْلَةً وَمَا لِي وَمَا لِأَهْلِي طَعَامٌ يَا كُلُّهُ ذُو كَبِيرٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ».^٢

فضل الصبر:

للصبر منزلة سامية في دين الله تعالى، فهو صفة الله تعالى؛ عن أبي موسى الأشعري، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحَدُ أَصْبَرُ عَلَى أَذَى سَمَعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِهِمْ وَيَرْفُعُهُمْ».^٣

والصبر ضياء للقلب في دياجير اليأس الذي يعتري الإنسان من هوله من يصيبه من أحداث؛ عن أبي مالِكِ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلاً الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلاً - أَوْ تَمَلاً - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبَرُ ضِيَاءُ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَاعُ نَفْسَهُ فَمُعْنِتُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».^٤

من فضل الصبر:

١ - رواه البخاري - كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: أمين والملايكة في السماء، أمين فوافقتك إحداهم الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: ٣٢٣١، ورواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركيين والمنافقين، حديث رقم: ١٧٩٥

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٢١٢، والترمذمي - أبواب صفة القيامة والرثائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٤٧٢، وابن ماجه - المقدمة، فضل سلمان، وأبي ذر، والمقداد، حديث رقم: ١٥١، وابن حبان - باب كثب النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر البيان بأنَّ المصطفى صلى الله عليه وسلم قد أُوذى في إقامة الدين ما لم يؤذ أحد من البشر في زمانه، حديث رقم: ٦٥٦، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ دُو الفُّوْرَةِ الْمَتَيْنِ﴾ [الذاريات: ٥٨]، حديث رقم: ٧٣٧٨، ومسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، حديث رقم: ٢٨٠٤

٤ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب فضل الموضوع، حديث رقم: ٢٢٣

أثر فقد الصبر:

عن مَحْمُودِ بْنِ لَيْدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهَ فَوْمًا إِنْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ وَمَنْ جَرَعَ فَلَهُ الْجَرَعَ».^١

١ - رَوَاهُ أَحْمَدُ - حديث رقم: ٢٣٦٣٣ ، بسنده جيد

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِحْسَانِ

عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ثِنَتَانِ حَفْظُهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلِيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ وَلِيُرِخَ ذَبِيْحَتَهُ». ^١

حدُّ الْإِحْسَانِ:

الإحسان ذروة كل شيء، وأفضل له.

قال ابن عينه: الإحسان التفضيل والعدل والإنصاف. ^٢

وقيل: الإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له.

مِنْ صُورِ إِحْسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَّةٍ فَأَبْطَأَ بِي جَمَلٌ وَأَعْيَا فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «جَابِرٌ» فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «مَا شَأْنُكَ» قُلْتُ أَبْطَأً عَلَيَّ جَمَلٌ وَأَعْيَا فَتَحَلَّفْتُ فَنَزَلَ يَحْجُنَةُ إِمْحَجِنَةٍ ثُمَّ قَالَ: «اَرْكَبْ»، فَرَكِبْتُ فَلَقِدْ رَأَيْتُهُ أَكْفُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَزَوَّجْتَ» قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «بِكُرْأَ أَمْ ثَيَّبَا» قُلْتُ: بَلْ ثَيَّبَا قَالَ: «أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاءِبُهَا وَتُلَاءِبُكَ» قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخْوَاتٍ فَأَحَبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَحْمِلُهُنَّ وَتَقْسِطُهُنَّ وَتَقْوُمُ عَلَيْهِنَّ قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ قَادِمٌ فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ» ثُمَّ قَالَ: «أَتَبِعْ جَمَلَكَ» قُلْتُ: نَعَمْ فَأَشْتَرَاهُ مِنِي بِأُوْقِيَّةٍ ثُمَّ قَدِيمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي وَقَدِيمْتُ بِالْغَدَاءِ فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قَالَ: «الآنَ قَدِيمْتَ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَدَعْ جَمَلَكَ» فَادْخُلْنَ رَكْعَتَيْنِ فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوْقِيَّةً فَوزَنَ لِي بِلَالٌ فَأَرْجَحَ لِي فِي الْمِيزَانِ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَيْتُ فَقَالَ: «ادْعُ لِي جَابِرًا قُلْتُ الآنَ يُرْدُ عَلَيَّ الْجَمَلَ وَمَمْ يَكُونْ شَيْءٌ أَبْعَضَ إِلَيَّ مِنْهُ قَالَ حُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنَهُ». ^٣

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الصيد والذبائح وما يُؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، حديث رقم: ٣٧٠٩

٢ - إعراب القرآن للنحاس (٤ / ١٠٧)

٣ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحرير، حديث رقم: ٢٠٠٧

فمن إحسان النبي صلى الله عليه وسلم، أنه أعطاه ثمن الجمل، وزاده في الثمن، ثم رد عليه جله.

قال ابن الجوزي: هذا من أحسن التكرم لأن من باع شيئاً فهو في الغالب محتاج لثمنه فإذا تعوض من الثمن بقي في قلبه من المبيع أسف على فراقه كما قيل وقد تخرج الحاجات يا أم مالك نفائس من رب هن ضئيل فإذا رد عليه المبيع مع ثمنه ذهب الهم عنه وثبت فرحة وقضيت حاجته فكيف مع ما انضم إلى ذلك من زيادة في الثمن.^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء قال عكرمة أراه قال: في دم فأعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه وأشار النبي صلى الله عليه وسلم أن كفوا فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال له: إنك جئتنا فسألتنا فأعطيتك فقلت ما قلت، فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشير خيراً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنك كنت جئتنا فسألتنا فأعطيتك فقلت ما قلت وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت حتى يذهب عن صدورهم قال: نعم. فلما جاء الأعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيتيناه فقال ما قال، وإنما قد دعوناه فأعطيتيناه فرغم أنه قد رضي، وكذلك؟ قال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشير خيراً.^٢

فمن إحسان النبي صلى الله عليه وسلم، أنه أعطى الأعرابي حين سأله، ثم حلم عليه حين أساء في رده، ثم كف عنه أصحابه حين هموا بمعاقبته، ثم إدخاله بيته وزيادته في العطاء، ثم حرصه صلى الله عليه وسلم على إزالة ما في صدور أصحابه على ذلك الأعرابي.

١ - فتح الباري لابن حجر (٣١٧ / ٥)

٢ - رواه البزار - حديث رقم: ٨٧٩٩

وعن أبي رافع رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسلف من رجل بكرًا، فقدمت عليه إبلٍ من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضى الرجل بكرًا، فرجع إليه أبو رافع، فقال: لم أحذ فيها إلا خياراً رباعياً، فقال: «أعطيه إيه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء». ^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتلقاضاه بغيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطوه»، فقالوا: ما نجد إلا سيناً أفضل من سينه، فقال الرجل: أوفتنني أوفاك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطوه، فإن من خيار الناس أحسنهم قضاء». ^٢

قال شهاب الدين القسطلاني: هذا من مكارم أخلاقه وليس هو من قرض جر منفعة إلى المقرض المنهي عنه لأن المنهي عنه ما كان مشروطاً في القرض كشرط رد عن مكسر أو رد بزيادة في القدر أو الصفة، والمعنى فيه أن موضوع القرض الإرفاق فإذا شرط لنفسه حفاظاً خرج عن موضوعه فمنع صحته فلو فعل ذلك بلا شرط كما هنا استحب ولم يكره ويجوز للمقرض أخذها. ^٣

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردٌ يجري على ظهره الحاشية»، فأدركه أعرابيٌّ فجذبه بردائه جبده شديدة، حتى نظرت إلى صفحات عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبده»، ثم قال: يا محمد مزلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء». ^٤

وهذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الإحسان حيث احتمل جفاء ذلك الأعرابي، وبخواز عن غلطته حين جذبه، ثم التفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، ثم أمر له بعطاء.

١ - رواه مسلم - كتاب المسافة، باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه، وخيركم أحسنكم قضاء، حديث رقم: ١٦٠٠

٢ - رواه البخاري - كتاب في الاستئراض وأداء الديون والحجارة والتقليس، باب هل يعطي أكبر من سنه، حديث رقم: ٢٣٩٢

٣ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤ / ٢١٨)

٤ - رواه البخاري - كتاب اليماس، باب البرود والحرارة والشمسة، حديث رقم: ٥٨٠٩

قال النووي: فيه احتمال الجاهلين والاعراض عن مقاومتهم ودفع السيدة بالحسنة وإعطاء من يتألف قلبه والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله وإباحة الضحك عند الأمور التي يتتعجب منها في العادة وفيه كمال حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه وصفحه الجميل.^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعنوني وأحسن إليهم ويسينون إلى وأحمل عنهم ويجهلون على. فقال: «لعنك كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولأيزال معك من الله ظهير عليهم ما ذمت على ذلك». ^٢

قال النووي: قيل معناه إنك بالإحسان إليهم تخربهم وتحقرونهم في أنفسهم لكثره إحسانك وقيح فعلهم من الحزني والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملل.^٣

ولا شك أن هذا غاية الإحسان، ومن ذلك قول المقنع الكندي:^٤

وإن الذي يبني وبينبني أبي ... وبينبني عممي لمختلف جدًا
أراهم إلى نصري بطاء وإن هم ... دعوني إلى نصر أتيتهم شدًا
فإن يأكلوا لحمي وفرث لحومهم ... وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدًا
وإن ضيعوا غيمي حفظت غيبهم ... وإن هم هزوا غيري هويت لهم رشدا

١ - شرح النووي على مسلم (١٤٧ / ٧)

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب صلة الرجم وتحريم قطعتها، حديث رقم: ٢٥٥٨

٣ - شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١٥)

٤ - أموال القالي (١ / ٢٨١)

الإحسان صفة الصفوة من بنى الإنسان:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ تَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَبِدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ .^١

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .^٢

وقال تعالى: ﴿وَسَارَعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .^٣

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيْنِ مِنْ نَّيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .^٤

وقال تعالى: ﴿فَمِمَّا نَفَضُّهُمْ مِيشَافُهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا فُلُوْبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ وَلَا تَرَأْتُ تَطْلُعَ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .^٥

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزَلَ إِلَي الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ إِنَّمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَمْعُ أَنْ

١ - سورة البقرة: الآية / ٥٨

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٩٥

٣ - سورة آل عمران: الآية / ١٣٤

٤ - سورة آل عمران: الآية / ١٤٨

٥ - سورة المائدة: الآية / ١٣

يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَبَرِّي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهْمَارُ حَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ^١.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ أَتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٣

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذِلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.^٤

وقال تعالى: ﴿أَدْعُوكُمْ تَضَرُّعًا وَحْقِيَّةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٥

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قيلَ لَهُمْ اسْكُنُوكُمْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُّوكُمْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوكُمْ حِطَّةً وَادْخُلُوكُمُ الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ حَطِيَّاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٦

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.^٧

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلُهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيرُونَهُمْ ظَمَّاً وَلَا نَصَبٌ وَلَا مُخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا

١ - سورة المائدة: الآية/٨٥

٢ - سورة المائدۃ: الآیة/٩٣

٣ - سورة العنكبوت: الآیة/٦٩

٤ - سورة الأنعام: الآیة/٨٤

٥ - سورة الأعراف: الآیة/٥٦

٦ - سورة الأعراف: الآیة/١٦١

٧ - سورة التوبۃ: الآیة/٩١

يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرِيقَ النَّهَارِ وَزَلَّقَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ دِكْرٌ لِلَّذِاكِرِينَ (١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَبَيَّنَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشاءُ وَلَا نُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْحًا كَبِيرًا فَحُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

١ - سورة التوبه: الآية / ١٢٠

٢ - سورة التوبه: الآية / ١١٥

٣ - سورة يوسف: الآية / ٢٢

٤ - سورة يوسف: الآية / ٣٦

٥ - سورة يوسف: الآية / ٥٦

٦ - سورة يوسف: الآية / ٧٨

٧ - سورة يوسف: الآية / ٩٠

عَنْ شَدَادِ بْنِ أُوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ثُبَّاتٌ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلَيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ فَلْيُرِخْ ذَبِيْحَتَهُ». ^١

هذا الحديث دليل على أن الإحسان يدخل في كل شيء ويعم كل شيء، وليس المراد بالعموم هنا الأغلب، بدليل تمثيله صلى الله عليه وسلم بالذبح والقتل، فإن المبادر إلى الذهن أن الذبح والقتل لا إحسان فيهما.

قال ابن دقيق العيد: وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة، ومعنى إحسان القتل: أن يجتهد في ذلك ولا يقصد التعذيب. وإحسان الذبح في البهائم: أن يرفق بالبهيمة ولا يصرعها بغطنة ولا يجرها من موضع وأن يوجهها إلى القبلة ويسمى ويحمد ويقطع الحلقوم والودجين ويتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله تعالى بالمنته والشكر على نعمه فإنه سبحانه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا.^٢

قال ابن رجب: وَالْإِحْسَانُ فِي قَتْلٍ مَا يَجُوزُ قَتْلُهُ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ: إِزْهَاقُ نَفْسِهِ عَلَى أَسْرَعِ الْوُجُوهِ وَأَسْهَلِهَا وَأَوْحَاهَا مِنْ عَيْرِ زِيَادَةٍ فِي التَّعْذِيبِ، فَإِنَّهُ إِيَّا لَمْ لَا حَاجَةٌ إِلَيْهِ. وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَعَلَّهُ ذَكْرُهُ عَلَى سَيِّلِ الْمِثالِ، أَوْ لِحَاجَتِهِ إِلَى بَيَانِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ فَقَالَ: «إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ» وَالْقِتْلَةُ وَالذِّبْحَةُ بِالْكَسِيرِ، أَيِّ الْهِيَّةِ، وَالْمَعْنَى: أَحْسِنُوا هِيَةَ الذَّبْحِ، وَهِيَةَ الْقَتْلِ وَهَذَا يَدْلُلُ عَلَى وُجُوبِ الْإِسْرَاعِ فِي إِزْهَاقِ النُّفُوسِ الَّتِي يُبَاخُ إِزْهَاقُهَا عَلَى أَسْهَلِ الْوُجُوهِ، وَقَدْ حَكَى ابْنُ حَرْمٍ الْإِجْمَاعُ عَلَى وُجُوبِ الْإِحْسَانِ فِي الذِّبْحَةِ، وَأَسْهَلُ وُجُوهِ قَتْلِ الْأَدْمَيِّ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى الْعُنْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْكُفَّارِ: ﴿فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَربُ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يُؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديث الشفرة، حديث رقم:

١٩٥٥

٢ - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٧٢)

٣ - جامع العلوم والحكم ت الأرنووط (٣٨٢ / ١)

من صور الإحسان:

الإحسان في الإعتقداد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَاءِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلَامُ قَالَ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقْيِمَ الصَّلَاةَ الْمُكْتُوبَةَ وَتُؤْدِي الرِّغَةَ الْمُفُروضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا كَانَكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمِ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَجُلًا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاءُ الْحُفَاهُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهِيمِ فِي الْبَيْانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي حَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ». ثُمَّ تَلَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْعِيْشَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِير﴾. قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُدُوا عَلَى الرَّجُلِ». فَأَخَذُوا لِيَرْدُوْهُ فَلَمْ يَرَوْهُ شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ».^١

الإحسان في العبادات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَاحٌ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاقَمَهُ فَلَيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرْتَبِينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ فِيمَ الصَّائِمُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَثْرُكُ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَشَهْوَتُهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».^٢

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، حديث رقم: ٤٧٧٧

٢ - رواه البخاري - كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٨٩٤، ومسلم - كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم،

الحديث رقم: ١١٥١

الإحسان في الأخلاق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسْبِئُونَ إِلَيَّ وَأَخْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ . فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَانَمَا تُسْفِعُهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» .^١

الإحسان في المعاملات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَافِئُ النَّاسَ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوِزُ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوِزُ عَنْهُ» .^٢

الإحسان للبهائم العجماء:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاءٍ، وَهُوَ يَجْدُ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِصَرِّهَا، قَالَ: «أَفَلَا قَبْلَ هَذَا، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تُمْيِتَهَا مَوْتَانِ» .^٣

وفي رواية: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمْيِتَهَا مَوْتَانِ؟ هَلْ حَدَثْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْبِعَهَا» .^٤

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٨

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث العار، حديث رقم: ٣٤٨٠، ومسلم - كتاب المساقاة، باب فضل إلنار المعيسر، حديث رقم: ١٥٦٢

٣ - رواه الطبراني - حديث رقم: ١١٩١٦

٤ - رواه الحاكم - كتاب الأضافي، حديث رقم: ٧٥٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الضحايا، باب الذكارة بالحديث و بما يكُون أخف على المذكي وما يُستحب من حذر الشفقار ومواراته عن البهيمة وإراحتها، حديث رقم: ١٩١٤١، الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١١٩١٦، والأوسط - حديث رقم: ٣٥٩٠، وابن أبي شيبة في مصنفه - حديث رقم: ٨٦٠٨، بستد صحيح

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ

الْوَفَاءُ هُوَ: الْقِيَامُ بِمَقْتضَى الْعَهْدِ.^١

وَقِيلُ الْوَفَاءُ هُوَ: كُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ تَمَامَ الْكَمَالِ.^٢

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ النَّاسِ وَفَاءً، وَأَشَدَّهُمْ لِلْعَهْدِ مُرَاعَةً.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا سُفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رُكْبِ مِنْ قُرْيَشٍ وَكَانُوا بِحَارَا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفِيَّانَ وَكُفَّارَ قُرْيَشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ يَإِلِيَّاَ فَدَعَاهُمْ فِي مُجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَيْهَا الرَّجُلُ الَّذِي يَرْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفِيَّانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي وَقَرِبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْنَاهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَبْتُهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاةِ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ يَعْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ - ثُمَّ قَالَ لَهُ وَسَأَتْلُكَ هَلَّ يَعْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرَّسُولُ لَا تَعْدِرُ.^٣

مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَاءُهُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ موْتِهَا:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَأْذَنْتُ هَالَّهُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ أُحْبُّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَأَعَ لِذِلِّكَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَّهَ». قَالَتْ: فَغَرِرْتُ فَقُلْتُ: مَا تَذُكُّ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرْيَشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكْتُ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ حَيْرًا مِنْهَا.^٤

١ - تفسير البيضاوي (٢٨٨ / ٢)

٢ - كتاب العين (٤٠٩ / ٨)

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الجزية، باب فضل الوفاء بالعهد، حديث رقم: ٣٠١٩، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرقل يدعوه إلى، حديث رقم: ٣٤٠٩

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب المناقب، باب ترويع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة وفضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم: ٣٦٣٣، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم: ٤٥٧٢

عن عائشة، رضي الله عنها «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ حَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» فَقُلْتُ: لَقَدْ أَخْلَفَكَ اللَّهُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرْبَشِ حَمْرَاءَ الشِّدْقَيْنِ هَلْكَتْ فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَالَ: «فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ تَمَعَّرًا مَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ وَإِذَا رَأَى مَخِيلَةَ الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ حَتَّى يَعْلَمَ أَرْجُمَةً هِيَ أَمْ عَذَابٌ». ^١

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ حَدِيجَةَ أَحْسَنَ عَلَيْهَا الشَّنَاءَ، فَقُلْتُ: مَا تَذَكُّرُ مِنْهَا وَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهَا حَيْرًا؟ قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهَا حَيْرًا مِنْهَا، صَدَقْتِنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَطْتِنِي بِمَا لَمْ يَرْفَقِنِي مِنْ عَيْرِهَا». ^٢

مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَأَخِيهِ مِنْ الرِّضَا عَاتِهِ:

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ قَدْرُمُ عَلَى بِحَادِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ، فَلَا يُفْلِتُنُكُمْ وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا، فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ سَافُوا وَأَهْلُهُ وَسَافُوا مَعَهُ الشَّيْمَاءَ بِنْتَ الْحَارِثَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِّيِّ أَحْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الرِّضَا عَاتِهِ فَعَنْفُوا عَلَيْهَا فِي السَّيَاقِ فَقَالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ تَعْلَمُوا وَاللَّهُ أَنِّي لَأَحْتَ صَاحِحُكُمْ مِنْ الرِّضَا عَاتِهِ فَلَمْ يُصَدِّقُوهَا حَتَّى أَتَوْا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا أُنْتَهَيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحْتُكَ مِنْ الرِّضَا قَالَ: "وَمَا عَلَامَهُ ذَلِكَ؟" قَالَتْ: عَضَّةٌ عَضَضْتِهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَسِّكُتُكَ؛ قَالَ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَامَةَ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَقَالَ إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي مَحَبَّةٌ مَكْرَمَةٌ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُمْتَعَكَ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ فَعَلْتَ؟" فَقَالَتْ: بَلْ مُتَعْنِي وَتَرْدِي إِلَى قَوْمِي، فَمَتَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدَهَا إِلَى قَوْمِهَا. ^٣

قال أبو حصين: وَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ - إِمَّا حَالَةً أَوْ عَمَّةً - بِنَحْيٍ مُمْلُوءٍ سَمْنًا وَجَرَابٍ أَقْطِ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْأَبْطَحِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ انْتَسَبَتْ لَهُ، فَعَرَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهَا إِلَى الإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَتْ وَصَدَقَتْ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٥١٧١، والحاكم - كتاب الأذب، حديث رقم: ٧٧٧١، بسنده صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٣٣٩، رواه الطبراني في الكبير - مناقب خديجة رضي الله عنها، حديث رقم: ١٨٩٤٢

٣ - السيرة النبوية (٥ / ١٢٨)، والروض الأنف (٤ / ٢٢٧)

الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذِهِهَا، وَجَعَلَ يُسَائِلُهَا عَنْ حَلِيمَةَ فَأَحْبَرْتُهُ أَهْكَمًا ثُوْقِيْتُ فِي التَّمَانِ.
قَالَ: فَدَرَفْتُ عَيْنَاهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ سَأَلَهَا: مَنْ بَقَى مِنْهُمْ؟ فَقَالَتْ: أَخْوَاكَ
وَأَخْتَاكَ، وَهُمْ وَالله مُحْتَاجُونَ إِلَيْرِبَكَ وَصِلَّتِكَ، وَلَقَدْ كَانَ لَهُمْ مَوْئِلٌ فَذَهَبَ.

وَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ أَهْلُكَ؟ فَقَالَتْ: بِذَنْبِ أَوْطَاسٍ. فَأَمَرَ لَهَا رَسُولُ الله
صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِسْوَةِ، وَأَعْطَاهَا جَمَلاً ظَعِينَةً، وَأَعْطَاهَا مِائَتَيْ دِرْهَمٍ، وَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:
نِعَمْ وَالله الْمَكْفُولُ كُنْتُ صَغِيرًا، وَنِعَمْ الْمَرءُ كُنْتَ كَبِيرًا، عَظِيمَ الْبَرَكَةِ.^١

مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْعُهُودِ:

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أَخْبَرَهُ، قَالَ: بَعْثَتِنِي فُرِيْشُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِيَّ فِي قَلْبِ الإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله
إِنِّي وَالله لا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَا أَخِسُّ بِالْعَهْدِ وَلَا
أَحِسُّ الْبُرْدَ، وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الذِّي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ». قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ
أَتَيْتُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ قَالَ: بُكِيرٌ وَأَحْبَرِنِي: «أَنَّ أَبَا رَافِعٍ كَانَ قِبْطِيًّا».^٢

وَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: كَانَ الْمُغَيْرَةُ صَاحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلُوهُمْ وَأَخْذَ أَمْوَاهُمْ، ثُمَّ جَاءَ
فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا الإِسْلَامُ فَقَدْ قَبَلْنَا، وَأَمَّا الْمَالُ فَإِنَّهُ مَالٌ غَدَرٌ لَا
حَاجَةَ لَنَا فِيهِ».^٣

وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: «مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا، إِلَّا أَنِّي حَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْنٍ»، قَالَ:
فَأَخْذَنَا كُفَّارُ فُرِيْشُ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخْذُنَا مِنَّا
عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنُنْصَرِّفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعْهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْبَرَنَا
الْحَبْرَ فَقَالَ: انْصَرُفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ».^٤

١ - مغازي الواقدي (٨٦٩ / ٢)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٨٥٧، وأبو داود - كتاب الجهاد، باب في الإمام يُستَرجَّنُ به في العهود، حديث رقم: ٢٧٥٨
وصححه الألباني

٣ - رواه البخاري - كتاب الشروط، باب الشرط في الجهاد والمحالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم: ٢٧٣١

٤ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والسيير، باب الوفاء بالعهد، حديث رقم: ١٧٨٧

قال العلماء: في هذا الحديث من الفقه حفظ الوفاء بالعهد ولو للمشرك فيما يمكن الوفاء به.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غَرَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصْحَابِهِ، فَأَخْذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَخْيَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ عَنْهُمْ يَبْطِنُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾». ^١

فهؤلاء غدوا بالمؤمنين وأرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما اصطلح المؤمنون وأهل مكة واحتلط بعضهم ببعض، فعوا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي لأهل مكة بعدهم؛ كما روى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة، وفيه قال: ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضاً في بعض، واصطلحنا، قال: وكنت تبعاً لطحنة بن عبد الله، أستقي فرسه وأحسنه وأحدمه، وأكل من طعامه، وترك أهلي ومالي مهاجرًا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واحتلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها، فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك، إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للهارعين! قيل ابن زيد. قال: فاختلط سيفي ثم شددت على أولئك الأربع وهم رفود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضعفًا في يدي، قال: ثم قلت: والذى كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذى فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وجاء عممي عامر برجل من العلات يقال له: مكرز، يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس مجفف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قال: دعوه، يكن لهم بدء الفجور وثناه. فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ عَنْهُمْ يَبْطِنُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية كلها. ^٢

١ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والستير، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ﴾، الآية، حديث رقم: ١٨٠٨

٢ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والستير، باب عزوة ذي قرد وغيرها، حديث رقم: ١٨٠٧

وَتَقْدِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَعْدِرُ فَذَكَرَتْ أَنَّ لَا وَكَذَلِكَ الرَّسُولُ لَا تَعْدِرُ.^١

مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ مِنْ أَسْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا وَلَوْ كَانَ كَافِرًا:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّبَّاتِ لَتَرْكَتُهُمْ لَهُ».^٢

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ابْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْأَعْرَابِ جَزُورًا أَوْ جَزَائِرَ بِوْسِقٍ مِنْ تَمَرِ الدَّخِرَةِ وَتَمَرِ الدَّخِرَةِ الْعَجْوَةِ فَرَجَعَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْ بَيْتِهِ وَالْتَّمَسَ لَهُ التَّمَرَ فَلَمْ يَجِدْهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّا قَدْ ابْتَعَنَا مِنْكَ جَزُورًا أَوْ جَزَائِرَ بِوْسِقٍ مِنْ تَمَرِ الدَّخِرَةِ فَالْتَّمَسَنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ». قَالَ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَأَغْدَرَاهُ. قَالَتْ فَنَهَمَهُ النَّاسُ. وَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ أَيْغَدِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةً فَإِنَّ إِصَاحِ الْحَقِّ مَقَالًا ثُمَّ عَادَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّا ابْتَعَنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ وَنَحْنُ نَظُنُ أَنَّ عِنْدَنَا مَا سَمَّيْنَا لَكَ فَالْتَّمَسَنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَأَغْدَرَاهُ فَنَهَمَهُ النَّاسُ. وَقَالُوا قَاتَلَكَ اللَّهُ أَيْغَدِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةً فَإِنَّ إِصَاحِ الْحَقِّ مَقَالًا فَرَدَدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَلَمَّا رَأَهُ لَا يَفْقَهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ اذْهَبْ إِلَى حُوَيْلَةَ بِنْ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ فَقُلْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ إِنَّكَ عِنْدَكِ وَسْقٌ مِنْ تَمَرِ الدَّخِرَةِ فَأَسْلِفِينَاهُ حَتَّى نُؤَدِّيَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَذَهَبَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ ثُمَّ رَجَعَ الرَّجُلُ فَقَالَ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ عِنْدِي يَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْعَثْ مَنْ يَقْبِضُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ اذْهَبْ بِهِ فَأَوْفِهِ الَّذِي لَهُ قَالَ فَذَهَبَ بِهِ فَأَوْفَاهُ الَّذِي لَهُ قَالَتْ فَمَرَّ الْأَعْرَابِيُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَوْفَيْتَ وَأَطْبَيْتَ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ خَيَارُ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُفْوَنُونَ الْمُطَبِّعُونَ».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب الجزية، باب فضل الوفاء بالعهد، حديث رقم: ٣٠١٩، ورواه مسلم - كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هرقل يدعوه إلى، حديث رقم: ٣٤٠٩

٢ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، حديث رقم: ٣٨١٨

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٥٧٦٧، بسنده حسن

عَنْ الْمُسْوَرِ بْنِ مُحْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمْنَ الْحَدَبِيَّةِ فِي بِضْعِ عَشْرَةِ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِدِي الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهُدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَخْرَمَ بِالْعُمْرَةِ وَسَاقَ الْحَدِيثَ قَالَ: وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنَيْةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ حَلَّاتُ الْقَصْوَاءِ مَرَّتَنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا حَلَّاتُ وَمَا ذَلِكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَلِيلِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ حُطَّةٌ يُعَظِّمُونَ بِهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَاهَا». ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَبَثَتْ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدَبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ فَجَاءُهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْحَزَاعِيُّ ثُمَّ أَتَاهُ يَعْنِي عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلُّمَا كَلَمُهُ أَخَذَ بِلِحِيَتِهِ وَالْمُغَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِعْفُرُ فَضَرَبَ يَدُهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ أَخْرَى يَدَكَ عَنْ لِحِيَتِهِ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمُغَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ أَيْنِي عُدْرُ أَوْلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرِتِكَ وَكَانَ الْمُغَيْرَةُ صَاحِبُ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَاهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِلْسَامُ فَقَدْ قِبَلْنَا وَأَمَّا الْمَالُ فَإِنَّهُ مَالٌ عَدْرٌ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ».^١

من صور وفاء النبي صلى الله عليه وسلم أمره أصحابه بالوفاء:

عَنْ سُلَيْمَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومَ عَهْدٌ وَكَانَ يَسِيرُ تَحْوَ بِلَادِهِمْ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَرَاهُمْ فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرْسٍ أَوْ بِرْذُونٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدْرٌ فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَخْلُلُهَا حَتَّى يَنْقُضِي أَمْدُهَا أَوْ يَنْبَذِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءِ». فَرَجَعَ مُعَاوِيَةً.^٢

عَنْ بُرِينِدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمْرَ أَمِيرًا عَلَى جَنِيشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهٍ فِي حَاصِتَهِ بِتَفْوِي اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوْ بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَرِيَّلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوْ وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلَا تَلِدَا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فَأَيْتُهُمْ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبِلُ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى

١ - رواه البخاري - كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمحصلة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم: ٢٧٣١

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٩٤٣٦، وأبو داود - كتاب الجهاد، باب في الإمام يكُون بينه، وبين العدو عهد فيسير إليه، حديث رقم: ٢٧٥٩، بسنده صحيح

الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من ذارهم إلى دار المهاجرين وأخربهم أهتم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبواً أن يتحوّلوا منها فأخربهم أهتم يكُونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنائم والغنائم شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأردوه أن يجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا يجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمةك وذمة أصحابك فإنكم أن تحفروها ذمكم وذمم أصحابكم أهون من أن تحفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأردوه أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنه لا تدري أتصيب بحكم الله فيهم أم لا». ^١

أثر الاتصال بالغدر:

الغادر الله حصمه يوم القيمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال ربكم عز وجل ثلاثة أنا حصمه يوم القيمة ومن كنت حصمه حصمه رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فكل ثنه، ورجل استاجر أحيرًا فاستوفى منه ولم يوف أجره». ^٢

الغدر من خصال المنافقين:

١ - رواه مسلم - كتاب الجهاد والستير، باب تأميم الإمام للأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب العزو وعيرها، حديث رقم:

١٧٣١

٢ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا، حديث رقم: ٢٢٢٧

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا وَمَنْ كَانَ فِيهِ حَصْلَةً مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنَ التِّنَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا حَاصَمَ فَجَرَ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ عَادِرٍ لِوَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةٌ فُلَانٌ».

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَعَثُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لِكُلِّ عَادِرٍ لِوَاءُ يُنْصَبُ بِغَدْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ عَادِرٍ لِوَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا عَادِرٌ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ».

١ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، حَدِيثُ رقم: ٣٤، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ خَصَالِ الْمُنَافِقِ، حَدِيثُ رقم: ٥٨

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيِّرِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْعَدْرِ، حَدِيثُ رقم: ١٧٣٦

٣ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كِتَابُ الْجِزْيَةِ، بَابُ إِثْمِ الْعَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، حَدِيثُ رقم: ٣١٨٨، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيِّرِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْعَدْرِ، حَدِيثُ رقم: ١٧٣٥

٤ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيِّرِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْعَدْرِ، حَدِيثُ رقم: ١٧٣٨

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ الْعِشْرَةِ

حُسْنُ الْعِشْرَةِ هي: بذل الندى واحتمال الأذى.

قال الغزالي رحمه الله: وأعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداءً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كانت أزواجه تراجعه الكلام، وتجده الوحدة منه يوًماً إلى الليل.^١

مِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ مُعَامَلَتِه لِزَوْجَاتِه:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بَعَثْتُ صَفِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَعَامٍ قَدْ صَنَعْتُ لَهُ وَهُوَ عِنْدِي فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَارِيَةَ أَحَدَتْنِي رِعْدَةً حَتَّى اسْتَقْلَلَنِي أَفْكَلُ فَضَرِبْتُ الْقَصْعَةَ فَرَمَيْتُ بِهَا قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَتُ الْعَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَلْعَنِي الْيَوْمَ قَالَتْ: قَالَ: «أَوْلَى». قَالَتْ: قُلْتُ وَمَا كَفَارْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «طَعَامٌ كَطَعَامِهَا وَإِنَاءٌ كَإِنَاءِهَا».^٢

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».^٣

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ جَارِيَةٌ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِ أَسَابِقُكُمْ». فَسَابَقَتُهُ فَسَبَقَتُهُ عَلَى رِجْلِي فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ حَرَجْتُ أَيْضًا مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِ أَسَابِقُكُمْ». وَسَيِّئَتِ الْذِي

١ - إحياء علوم الدين (٤٣ / ٢)

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٥٨٢١، وأبو داود- كتاب البيوع، أبواب الإجارة، باب فيمن أفسد شيئاً يغنم مثله، حديث رقم: ٣١١٤، بسنده صحيح

٣ - رواه الترمذى- أبواب المناقب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب في فضل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٣٩١٠، والبيهقي في السنن- كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ١٤٦٢٧، والدارمى- كتاب النكاح، باب في حسن معاشرة النساء، حديث رقم: ٢٢٢٧، بسنده صحيح

كَانَ، وَقَدْ حَمِلَتُ الْحَمَّ فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أُسَايِلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ: «لَتَفْعَلِنَّ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: هَذِهِ بِتُّلُكَ السَّبَقَةِ.¹

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أرواحهن شيئاً قالت الأولى: زوجي لم يغث على رأس جبل وغير لا سهل فيرتفقى ولا سجين فىنتقل. قالت الثانية: زوجي لا أبى حبره إنى أحافى أن لا أدربه إن أذكره عجره وبجره. قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكنت أعلق. قالت الرابعة: زوجي كليل تهامته لا ححر ولا فرق ولا مخافة ولا سامة. قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عمما عهد. قالت السادسة: زوجي إن أكل لف وإن شرب اشتيف وإن اضطاجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث. قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياء طباقاً كل داء له شجك أو فلك أو جماع كلا لك. قالت الثامنة: زوجي الربيع زنب والمس مس أزن. قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادي. قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك مالك حير من ذلك له إبل كثارات المبارك قليلات المسارح إذا سمع صوت المزهراً أينق أهن هوالك. قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع أنا من حلى أدى وملا من شحم عضدي وبجحني فبححت إلى نفسي وجدني في أهل عنية بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائيس ومنق، فعنده أقول فلا أقبخ وأرقد فاتصبح وأشرب فاتقنح. أم أي زرع فما أم أي زرع عكومها رذاخ وبيتها فساح. ابن أي زرع فما ابن أي زرع مضجعه كمسلى شطبة ويسبعه ذراع الجفرة. بنت أي زرع فما بنت أي زرع طوغ أيها وطوغ أمها وملء كسانها وعيظ جارتها. جارية أي زرع فما جارية أي زرع لا تبى حدثينا بشيشا، ولا ثنيت ميرتنا تنقيشا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا. قالت خرج أبو زرع والأوطاب تحضر فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهمدين يلعبان من تحت حصرها برمانتين فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سريياً ركب شريياً وأخذ حطياً وأراح على نعما شرياً، وأعطياني من كل رائحة زوجاً. قال كلى أم زرع وميري أهلك فلو جمعت كل شيء

1 - رواه أحمد - حديث: ٢٥٧٣٤، رواه أبو داود - كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، حديث رقم: ٢٢٢٧، والبيهقي في السنن - كتاب السبق والرمي، باب ما جاء في المسابقة بالعدو، حديث رقم: ١٨٣٧٩، بسنده صحيح

أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْعَرَ آنِيَةً أَبِي زَرْعٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ لَكَ كَائِبًا بِي زَرْعٍ لِأَمِّ زَرْعٍ». ^١

مِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ مُعَامَلَتِهِ خَادِمِهِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِينَ لَا وَاللَّهُ مَا سَبَّيْتَ سَبَّةً قَطُّ وَلَا قَالَ لِي أَفِ قَطُّ وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَتْهُ لَمْ فَعَتْهُ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ إِلَّا فَعَلْتُهُ». ^٢

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأً وَلَا حَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نَيَّلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيُتَقَمِّمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهِكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيُتَقَمِّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». ^٣

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حُلْفًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَعَلْتُهُ وَاللَّهُ لَا أَذْهَبُ. وَقِنْفُسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمْرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمْرَرَ عَلَى صِبِيَّانِ وَهُنْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَاعِي مِنْ وَرَائِي فَنَظَرَتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أَنَسُنِي أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمْرَتُكَ». قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ^٤

١ - رَوَاهُ الْبَحَارِيُّ - كتاب الكح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، حديث رقم: ٤٨٩٦، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، حديث رقم: ٤٥٨٦

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٨٠٥، عبد الرزاق في مصنفه - كتاب العقول، باب ضرب النساء والخدم، حديث رقم: ١٧٣٠٨، بسنده صحيح

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الفضائل، باب مباعدته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمَباحِ، حديث رقم: ٤٣٩٩

٤ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ حَلْفًا، حديث رقم: ٤٣٧٣

وَمِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ مُعَامَلَتِهِ لَا صَحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَافَحَ أَوْ صَافَحَهُ الرَّجُلُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ فَإِنْ اسْتَقْبَلَهُ بِوْجُوهِهِ لَا يَصْرِفُهُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْصَرِفُ وَمَمْرُرُهُ مُعَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ جَلِيسٌ لَهُ». ^١

مِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَقُّدُهُ لَا صَحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَنَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمًا فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكِسًا رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ: شَرُّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَّا وَكَذَا فَقَالَ مُوسَى فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةُ الْآخِرَةِ بِإِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». ^٢

وَمِنْ ذَلِكَ تَفَقُّدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ عَزْوَةِ تَبُوكٍ؛ فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَزْوَةِ تَبُوكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلْ كَعْبٌ؟». ^٣

وَمِنْ ذَلِكَ تَفَقُّدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَانَ يَقْمُ المسِيْجَدَ؛ فَعَنْ أَيِّ هُرْبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَسْوَدَ رَجُلًا - أَوْ امْرَأَةً - كَانَ يَكُونُ فِي الْمَسِيْجَدِ يَقْمُ المسِيْجَدَ، فَمَاتَ وَلَمْ يَعْلَمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ؟» قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:

١ - رواه الترمذى - كتاب صفة القيامة والرفاق والورع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حدث رقم: ٢٤٧٤، وابن ماجه - كتاب الأدب، باب إكرام الرجل جليسه، حدث رقم: ٣٧٦، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها، حدث رقم: ١٩٣٤٠، بسند ضعيف

٢ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية، حدث رقم: ٤٥٦٨:

٣ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب حدث كعب بن مالك، حدث رقم: ٤١٦٥، ومسلم - كتاب التوبة، باب حدث توبه كعب بن مالك وصاحبته، حدث رقم: ٥٠٨٠

«أَفَلَا آذِنْتُمُونِي؟» فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا - فِصْحَةُ - قَالَ: فَحَقَّرُوا شَأْنَهُ، قَالَ: «فَدُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ.

مِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثرةً تَبَسُّمَهُ لِأَصْحَابِهِ:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَرْءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ١.

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَجْرَةِ وَهُوَ يَأْكُلُ
تَمْرًا، فَأَقْبَلْتُ أَكُلُّ مِنَ التَّمْرِ وَبِعَيْنِي رَمَدُ، فَقَالَ: «أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَبَكَ رَمَدُ؟» فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَكُلُّ عَلَى
شَيْءِ الصَّحِيحِ لِيَسْ بِهِ رَمَدُ، قَالَ: فَضَحِّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ٢.

خطُرُ سُوءُ العِشرَةِ شُؤُمٌ عَلَى صَاحِبِهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً يُذْكُرُ مِنْ كُثْرَةِ صَلَاتِهَا
وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا عَيْرَ أَهْمَا تُؤْذِي جِيرَاهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةً
يُذْكُرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقْطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَاهَا بِلِسَانِهَا
قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ». ٣

سُوءُ العِشرَةِ شُؤُمٌ عَلَى صَاحِبِهِ وَعَلَى مَنْ رَضِيَ بِهِ:

وعن أبي حازم رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: «السيئُ الخلقُ أشقي الناسُ بِهِ نفسيهُ التي بين جنبيه، هي منه في
بلاء، ثم زوجته ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه فرقاً

١ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعد ما يُدفن، حديث رقم: ١٣٣٧

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٣٩٢، والترمذمي - أبواب المناقب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب في بشاشة النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث رقم: ٣٦٥٩، بسنده صحيح

٣ - رواه الحاكم في المستدرك - ذكر مناقب صهيب بن سنان مؤلِّف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٥٧٠٣، وقال:
صَحِحُ الْإِسْنَادُ، وَلَمْ يُنْكِرْ بَعْدَهُ

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٤٨٣، وابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، باب الغيبة، ذكر الإخبار عما يجب على المرأة من ترك
الواقعة في المسلمين، حديث رقم: ٥٨٤٣، بسنده صحيح

منه، وحتى إن دابته لتحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، وحتى إن قطه ليفر منه».^١

١ - رواه الحراططي في مساوىء الأخلق - باب ما جاء في سوء الخلق من الكراهة، حديث رقم: ٩

مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمَانَةُ

حَدُّ الْأَمَانَةِ:

الْأَمَانَةُ: ضِدُّ الْخَيَانَةِ، وَلَهَا مَعْنَى سُكُونُ الْقُلُوبِ، وَالتَّصْدِيقُ، وَتَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا اتَّهَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ.

فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْحَدِيثُ أَمَانَةٌ، وَالْوَدَاعُ أَمَانَةٌ.

الْأَمَانَةُ أَظْهَرُ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْأَمَانَةُ أَظْهَرُ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَا شَهَارَهُ بِهَا مَعَ الصَّدْقِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، فَكَانَ يُلْقَبُ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَلَا نَهَا أَمِينُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَحِيهِ.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَحِيهِ:

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَحَدْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ...﴾^١

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمِينِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوْظٍ مَمْكُوْنَ مِنْ تُرَاهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عَيْنَيْنَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطَّفْيَلِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهِنَّا مِنْ هُؤُلَاءِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِيَنِي حَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً». قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِرُ الْجَبَهَةِ كَثُرُ الْبَحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الإِزارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَقِ اللَّهَ فَقَالَ «وَيْلَكَ أَوْلَئِكَ أَحَقُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيَّ اللَّهِ». قَالَ ثُمَّ وَلَى الرَّجُلُ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ فَقَالَ: «لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلَّى». قَالَ خَالِدٌ وَكَمْ مِنْ مُصَالٍ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي مَمْ أُوْمَرْ أَنْ أَنْفَقَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشْقَقُ بُطُونَهُمْ». قَالَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقْفَيٌ فَقَالَ «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيَءٍ هَذَا قَوْمٌ

يَتَلَوَنَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِرُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمَيَةِ لَئِنْ أَذْرَكْتُهُمْ لَأَقْتَلَنَّهُمْ قَتْلًا ثَمُودًا». ^١

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبِدِيهِ وَتَحْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَاهُ﴾. ^٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشتهر بالأمين قبلبعثة:

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة يتضرر مجيء جبريل عليه السلام وأمره له أن يخرج من مكة بإذن الله له في الهجرة إلى المدينة حتى إذا اجتمعت قريش فمكررت بالنبي وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرادوا أتاهم جبريل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بايه. قال ابن إسحاق: وتابع الناس في الهجرة وكان آخر من قدم المدينة من الناس ولم يفتني في دينه علي بن أبي طالب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخره بمكة وأمره أن ينام على فراشه وأجله ثلاثة وأمره أن يؤدي إلى كل ذي حق فعله. ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَّلْنَا أَرْضَ الْجَبَشَةِ جَاءُونَا إِلَيْنَا حَيْرٌ جَارٌ النَّجَاشِيُّ أَمَنًا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدَنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا تُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرُهُهُ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرْيَشًا اتَّمَمُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهَدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَائِيَا مِمَّا يُسْتَطِرِفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا وَمَمْ يَتَرَكُونَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ بْنِ الْمُغِيْرَةِ الْمَخْرُومِيَّ وَعَمَرَوْ بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيَّ وَأَمْرُوهُمَا أَمْرُوهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا اذْفَعَا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوْنَا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ثُمَّ قَدِمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَائِيَا ثُمَّ سَلُوْهُ أَنْ يُسَلِّمُهُمْ إِلَيْنُوكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمُهُمْ قَالَتْ فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدُهُ بِخَيْرٍ دَارِ وَخَيْرٍ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ

١ - رواه البخاري - كتاب المعازى، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وحاله بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجّة الوداع، حديث رقم: ٤٣٥١، ومسلم - كتاب الزكاة، باب ذكر الحوار وصفاتهم، حديث رقم: ١٠٦٤

٢ - سورة الأحزاب: الآية / ٣٧

هَدِيَّتُهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ ثُمَّ قَالَ لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَّا إِلَى بَلْدِ الْمَلِكِ مِنَا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافٌ قَوْمِهِمْ لِنَرْدَهُمْ إِلَيْهِمْ فَإِذَا كَلَّمَنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمُهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمُهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمَا نَعْمُ ثُمَّ إِحْمُمَا قَرَبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبَّلَهَا مِنْهُمَا ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ صَبَّا إِلَى بَلْدِكَ مِنَا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافٌ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرْدَهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتِبُوهُمْ فِيهِ قَالَتْ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْعَضُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ فَقَالَتْ بَطَرِيقَتُهُ حَوْلَهُ صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا فَلَيْرِدَاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ قَالَ فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ لَا هَامِمُ اللَّهِ إِذَا لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ فَوْمًا جَاوِرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاحْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَذْعُوهُمْ فَأَسَأَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَا فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُانِ أَسْلَمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنْعَهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوارَهُمْ مَا جَاوِرُونِي قَالَتْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءُهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِ مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ قَالُوا نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمْرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ لِيَسْأَلُهُمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي فَارْقَتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةً نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطِعُ الْأَرْحَامَ وَنُسْيِئُ الْجِوارَ يَأْكُلُ الْقَوْيُ مِنَا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدُهُ وَنَعْبُدُهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِيمِ وَحُسْنِ الْجِوارِ وَالْكَفِ عنِ الْمَحَارِمِ وَالْدِيَمَاءِ وَهَانَنا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتَيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قَالَ فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلَامِ فَصَدَّفَنَا وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ^١.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٦٩٢ ، وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الرجاء المختصر من المختصر من المستند على الشريطة

وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حدثاً وأعظمكم أمانةً حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا والله ما هو ساحر^١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف الخيانة:

عَنْ مُصْبِعِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَطَّلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي السَّرْحِ فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَطَّلٍ فَأَدْرَكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِيرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٍ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ أَخْلِصُوا فَإِنَّ آهِنَّكُمْ لَا تُعْنِي عَنْكُمْ شَيْئاً هَاهُنَا فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَاللَّهِ لَعْنَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الإِخْلَاصُ لَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ عَيْرُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ إِنْ أَتَيْتَنِي مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلَا يَجِدَنِي عَفْوًا كَرِيمًا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي السَّرْحِ فَإِنَّهُ احْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايْعَ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثَ كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَيْاعَهُ بَعْدَ ثَلَاثَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا كَانَ فِيْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُولُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتَ كَفْفُتُ يَدِي عَنْ بَيْعِتِهِ فَيَقْتُلُهُ فَقَالُوا وَمَا يُدْرِكُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ هَلَا أَوْمَاتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَائِنَةً أَعْيُنٍ».^٢

النبي ذكره في أول الكتاب، باب ذكر البيان أن قرض الركاة كان قبل المحبحة إلى أرض الحبشة، إذ النبي صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة قبل هجرته إلى المدينة، حديث رقم: ٢٢٦٠، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٨١، والأسماء والصفات - حديث رقم: ٤٢٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١١٥ / ١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب بيان مشكل ما روی فيمن قرأ قوله: «وما هو على العيب بظني» أو «بضئلي» [التكوير: ٢٤] حديث رقم: ٥٥٩٨
١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ١٣٥)
٢ - رواه النسائي - كتاب تحريم الدم، الحكم في المرتد، حديث رقم: ٤٠٢٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخْرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ . قَالَ وَهَذِهِ صِفَةٌ نَبِيٌّ .^١

اثر فقد الأمانة:

ذهب الإيمان:

عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْحَيْثَانَةَ وَالْكَذِبَ».^٢

الاتصاف بالخيانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَدِ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَكَ، وَلَا تَخْنُ مَنْ خَانَكَ».^٣

أعظم الخيانة:

أعظم الخيانة خيانة من استأمنك على عرضه وما له؛ لذلك كانت خيانة الجار جاره أعظم بكثير جدًا مما يقع بين الناس من الخيانات، وإن كانت كل الخيانات قبيحة، لكن هذه أشد قبحاً وأسوء حالاً؛ لما يفترض أن يكون عليه الجار من مراعاة حرمة جاره،

١ - رواه البخاري - كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ حديث رقم: ٧

٢ - رواه البيهقي في السنن - كتاب الشهادات، جماغ أبواب من يجوز شهادته ، وَمَنْ لَا يَجُوزُ مِنَ الْأَخْرَارِ الْبَالِغِينَ الْعَاقِلِينَ المُسْلِمِينَ، باب: مَنْ كَانَ مُنْكِشِفَ الْكَذِبِ مُظْهِرَهُ عَيْرَ مُسْتَنِتٍ بِهِ، لَمْ يَجُوزْ شَهَادَتُهُ، حديث رقم: ٢٠٨٢٨ ، والشعب - حديث رقم: ، وأبو يعلى - حديث رقم: ٩١١ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى - باب ذِكْرُ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي نُورِثُ التِّفَاقَ، وَعَلَامَاتِ الْمُنَافِقِينَ، حديث رقم: ٩٠٦ ، وقال حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥٤٢٤ ، وأبو داود - أبواب الإجازة، باب في الرجل يأخذ حظه من تحت يده، حديث رقم: ٣٥٣٥ ، والترمذى - أبواب الْبَيْوَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب، حديث رقم: ١٢٦٤ ، والحاكم - كتاب الْبَيْوَعِ، حديث رقم: ٢٢٩٦ ، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٣٥٩٥ ، بسنده صحيح

وعن عبد الله رضي الله عنه قال سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنى الدنب أعظم عند الله قال : «أن يجعل لله ندًا وهو خلقك». قال قلت له إن ذلك لعظيم . قال قلت ثم أى قال : «ثم أن تقتل ولدك خافة أن يطعم معك». قال قلت ثم أى قال : «ثم أن تراني حليلة جارك» .^١

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه : «ما تقولون في الزنا» قالوا : حرم الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيمة قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه : «لأن زين الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن زين بامرأة جاره» قال : فقال : «ما تقولون في السرقة قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام قال لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» .^٢

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوايقه» .^٣

وعن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قالوا : ومن ذاك يا رسول الله؟ قال : الجار لا يؤمن جاره بوايقه ، قالوا : وما بوايقه؟ قال : شره» .^٤

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، والذى نفس محمد بيده ، لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قوله ، ولا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوايقه ، قيل : يا رسول الله ، وما البوايق؟ قال : غشمه وظلمه ، وأئم رجلي أصحاب مالا من غير حله ، وأنفق منه ، لم

١ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا يَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ، حدث رقم:

٤٤٧٧ ، ورواه مسلم - كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبين أعظمها بعده، حدث رقم: ١٤١

٢ - رواه أحمد - حدث رقم: ٢٢٨٥٤ ، والطبراني في الكبير - حدث رقم: ٦٠٥ ، والأوسط - حدث رقم: ٦٣٣ ، والبخاري في الأدب المفرد - باب حق الجار ، حدث رقم: ١٠٣ ، والبزار - حدث رقم: ٢١١٥ ، والبيهقي في الشعب - إكرام الجار ، حدث رقم: ٩١٠٥ ، بسند صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيداء الجار ، حدث رقم: ٤٣

٤ - رواه البخاري - كتاب الأدب ، باب إيمان من لا يؤمن جاره بوايقه ، حدث رقم: ٦٠١٦

يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَإِنْ تَصَدَّقَ لَمْ تُعْلَمْ مِنْهُ، وَمَا يَقِيَ فَرَادُهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ الْحَيْثَ لَا يُكَفِّرُ الْحَيْثَ، وَلَكِنَّ الطَّيْبَ يُكَفِّرُ الْحَيْثَ».^١

عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرْضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثٌ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةٌ قَلَمْ يَحْكُطُهَا بِنَصِيحةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَأْحَةً لِجَنَّةٍ».^٢

الْخِيَانَةُ مِنْ أَحَقِّ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْمِنَ خَانَ».^٣

الْخِيَانَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمْرَنِي أَنْ أُعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ إِمَّا عَلَّمْنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَا لَمْ نَخْلُتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي حَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَنْتُهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتُهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُهُمْ وَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَائِيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعْثَتُكُمْ لِأَبْتَلِيَكُمْ وَأَبْتَلِيَ بِكُمْ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ كِتَابًا لَا يَعْسِلُهُ النَّاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أُحْرِقَ قُرْيَشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا يَشَعُوْرُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ حُبْزَةً قَالَ أَسْتَخْرِجُهُمْ كَمَا أَسْتَخْرِجُكُمْ وَأَغْرِهُمْ نُعْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنْفِقَ عَلَيْكُمْ وَبَعْثَ جَيْشًا نَبْعَثُ حَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلُهُمْ مَنْ أَطَاعَكُمْ مِنْ عَصَاكُمْ. قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُفْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوْفَقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ حَمْسَةُ الضَّعِيفُ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٦٧٢، الطبراني في الكبير حديث رقم: ١٠٥٥٣ ، والبزار - حديث رقم: ٢٠٢٦ ، وابن أبي شيبة-

حديث رقم: ٣٤٤ ، بسنده ضعيف

٢ - رواه البخاري - كتاب الأحكام، باب من استرعى رعيته فلم ينصح، حديث رقم: ٧١٥٠ ، ومسلم - كتاب الإيمان، باب استحقاق الولي الغاش لريعيه النار، حديث رقم: ١٤٢

٣ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب علامه المนาقة، حديث رقم: ٣٣ ، ورواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال المناقة، حديث رقم: ٥٩

الَّذِي لَا زَرَرَ لَهُ الدِّينُ هُمْ فِيهِمْ تَبَعًا لَا يَتَبَعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الدِّي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ
دَقَّ إِلَّا خَانَهُ وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ». وَذَكَرَ الْبُحْلَلُ أَوِ
الْكَذِبَ «وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ».^١

١ - رواه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم:

٢٨٦٥

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَفْوُ

الْعَفْوُ وَهُوَ التَّجَاهُورُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ وَأَصْلُهُ الْمَحْوُ وَالْطَّمْسُ.^١

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.^٢

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا قُلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاءُرُهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.^٣

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فِيمَا نَفْضِهِمْ مِيشَاقُهُمْ لَعَنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحِسِّفُونَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ وَلَا تَرَأَلْ تَطَلُّعَ عَلَى حَائِنَةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.^٤

مِنْ صُورِ عَفْوِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ :

كَانَ أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ مَعْرُوفًا بِعَدَوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّأْلِيبِ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَلِسانِهِ، فَأَسِرَّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَرَقَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ عَلَيْهِ وَعَقَّا عَنْهُ وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِلَا فِدَاءِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَزَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَعْرِفُ النَّاسِ بِفَاقَتِي وَعِيَالِي وَإِلَيَّ دُوْبَنَاتٍ قَالَ فَرَقَ لَهُ وَمَنْ عَلَيْهِ وَعَقَّا عَنْهُ وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِلَا فِدَاءِ فَلَمَّا أَتَى مَكَّةَ هَجَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَرَضَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسِرَّ يَوْمَ أُحْدٍ

١ - لسان العرب - مادة (عفا)

٢ - سورة الأعراف: الآية / ١٩٩

٣ - سورة آل عمران: الآية / ١٥٩

٤ - سورة المائد़ة: الآية / ١٣

أُتْحَىٰ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ».^١

عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ثَمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ:

كان ثَمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ معروفاً أيضاً بِعِداوَتِه لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّأْلِيبِ عَلَيْهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ شَمَلَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَفْوِه حَتَّى كَانَ عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيلًا فِي إِسْلَامِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْلًا قَبْلَ تَجْدِيدِ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَيْنِيَةَ يُقَالُ لَهُ ثَمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي حَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْنِي ذَا دَمٌ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلِّمْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتَرَكَ حَيْرًا كَانَ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ فَتَرَكَهُ حَيْرًا كَانَ بَعْدَ الْعَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلِقُوكَ ثَمَامَةً فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ نَجْلٌ قَرِيبٌ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهُ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنَّ حَيْلَكَ أَحَذَنَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَاتِلٌ صَبَوْتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللَّهُ لَا يَأْتِيْكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةً حِنْطَةً حَيْرًا يَأْدَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^٢

١ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ، حديث رقم: ٦١٣٣، مختصرًا، ومسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ، حديث رقم: ٢٩٩٨، مختصرًا، والبيهقي في السنن - جماغ أبواب تقويق القسم، باب ما جاء في من الإمام على من رأى من الرجال البالغين من أهل الحرب، حديث رقم: ١٢٨٣٩، مطولاً واللفظ له.

٢ - رواه البخاري - كتاب الحصومات، باب التوثيق من تحشى معروفة، حديث رقم: ٢٤٢٢، ومسلم - كتاب الجهاد والسيير، باب ربط الآسيروجنسية، وجواز الممن عنيه، حديث رقم: ١٧٦٤

عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذِي الْخُوبِصِرَةِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ عَلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُونٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَاكِهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عَيْنَيْنَ بْنِ حَصْنٍ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْحَلِيلِ وَالرَّابِعِ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عَلَّاتَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا تَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هُؤُلَاءِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي حَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً». قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِرُ الْجَبَهَةِ كُثُرُ الْلَّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأسِ مُشَمَّرُ الإِزارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَقِنَّ اللَّهَ فَقَالَ «وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَقَرَّ اللَّهَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَ الرَّجُلُ فَقَالَ حَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ فَقَالَ: «لَا لَعْلَهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلَّى». قَالَ: حَالِدٌ وَكُمْ مِنْ مُصَلِّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُوْمِرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُوْهُمْ».^۱

عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَعْضِ مُجْرَمِي الْحَرْبِ:

عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَأَمْرَاتَيْنِ وَقَالَ: «ا قُتْلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْنُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي السَّرْحِ فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأَدْرَكَهُ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدَ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفَةٌ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ أَحْلَصُوا فَإِنَّ آهَاتَكُمْ لَا تُعْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَاللَّهِ لَيْسَ لَمْ يُنَجِّنِي مِنْ الْبَحْرِ إِلَّا إِلْخَالُصُ لَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ

۱ - رواه البخاري - كتاب المعازي باب بعثت علي بن أبي طالب عليه السلام، وحاليد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حججة الوداع، حديث رقم: ۴۳۵۱، ومسلم - كتاب الركوة، باب ذكر الحواري وصفاتهم، حديث رقم: ۱۰۶۴

عهداً إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتَيْتَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ
فَلَأَجِدَنَّهُ عَفْوًا كَمَا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ».^١

عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلَوْلِ:

قال عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُحْرِجَنَّ الْأَعْزَرُ
مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾. [المنافقون: ٨]، فقال ابنه عبد الله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو والله الذليل وأنك العزيز يا رسول الله إن أذنت لي في قتلته فهو الله لقد علمت الخروج ما كان بها أحد أبْرَ بوالده مني ولكنني أخشى أن تأمر به رجلاً مسلماً فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي على الأرض حياً حتى أقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بل نحسن صحبيه ونترفق به ما صحبا ولا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبيته».^٢

عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمِنْ أَرَادَ قَتْلَهُ:

عَنْ جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ نَجِدٌ فَلَمَّا
قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِصَابِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظُلُونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ
سَمْرَةَ وَعَلَقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمَّا نَوْمَهُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابٌ فَقَالَ:
إِنَّ هَذَا احْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنْ فَقْلُتُ اللَّهُ
ثَلَاثًا وَمِمْ يُعَاقِبُهُ وَجَلَسَ».^٣

١ - رواه النسائي - كتاب تحريم الدم، الحكم في المرتد، حديث رقم: ٤٠٢٠

٢ - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤ / ٦٢)

٣ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، حديث رقم: ٢٧٧٤

عن أبي، قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعُفْوَ وَأُمْرُ بِالْعُرْفِ وَأَغْرِضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَّ مَنْ قَطَعَكَ». ^١

قال مارسيل بازار: (منذ استقر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة، غدت حياته جزءاً لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها. وما كان منظماً شديداً الحيوية، فقد أثبتت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسدت المناخ الروحي للإسلام. وكما يظهر التاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم قائداً عظيماً ملء قلبه الرأفة، يصوّره كذلك رجل دولة صريحاً قوي الشكيمة له سياسة الحكمة التي تعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبليوماسيته وزناهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالقه. وإذا تذكّرنا أخيراً على الصعيد النفسي هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابد أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنساناً فوق مستوى البشر حقاً، وأنه لابد أن يكون نبياً حقيقياً من أنبياء الله).

كما قال الشاعر:^٢

والعُفُوُّ مِنْهُ سُجْيَةٌ لَكُنَّهُ يَعْفُو إِذَا مَا عَفُوا كَانَ الْأَصْبُوْبَا

*

فِإِذَا حَنَّ جَانِي تَعَاضَتْ عَيْنُهُ مَا أَذْنَبَا

*

١ - رواه ابن جرير (١٠ / ٦٤٤)، وابن أبي حاتم - سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعُفْوَ﴾، حديث رقم: ٩٤٤٦، وبعد

الرازق في التفسير - سورة الأعراف، حديث رقم: ٩٤٥

٢ - ديوان ابن الرومي (٨١٧ / ١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا نَفَقْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ وَمَا رَأَدَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفْعَةً لَهُ». ^١

فقال عز وجل: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَّا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ الآية. ^٢

عن أنس بن مالك رضي الله عنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا وقف العباد للحساب نادى مناد: من كان أجره على الله فليقم فليدخل الجنة. ثم ينادي الثانية، قالوا: من الذي أجره على الله؟ قال: العافين عن الناس، ثم نادى الثالثة: من كان أجره على الله فليدخل الجنة. فقام كذا وكذا يدخلونها بغير حساب». ^٣

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَفَا عَنْ دَمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةَ». ^٤

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: ٢٥٨٨

٢ - سورة الشورى: الآية / ٤٠

٣ - رواه ابن أبي عاصم في الديات - باب عفو المجنى عليه ومن له قود، حديث رقم: ١٨٥

٤ - رواه أبو حنيفة في مسنده - كتاب الجنائز، حديث رقم: ١

أثر التخلق بالعفو على المسلم:

١ - العفو سبب العفو:

قوله الله تعالى: ﴿وَلَا يُأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْفُرْيَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^١.

هذه الآية الكريمة نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة رضي الله عنه وكان مسطح من المهاجرين وكان فقيراً، وكانت أمه ابنة خالة أبي بكر رضي الله عنه وكان أبوه بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقيه فقال والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يُأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ إِلَى قَوْلِهِ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو بكر الصديق بل والله إنما لأحب أن يعفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقه التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً.

٢ - من عفا وأصلح فأجره على الله:

قوله الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^٢.

العفو سبب العزة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً وما تواضع أحد لله إلا رغبة الله».^٣

العفو من علامات التقوى:

١ - سورة النور: الآية / ٢٢

٢ - سورة الشورى: الآية / ٤٠

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأذاب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: ٢٥٨٨

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَّلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوْهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ هُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُو الَّذِي يِبَدِيهُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عِمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^١.

ومعنى كون العفو أقرب للتقوى: أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤخذ بتصلب صاحبه وشدة، والعفو يؤخذ بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة، أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد، لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المقطر على الرأفة والسماحة لين يزعمه عن المظالم والقصاص، فتكون التقوى أقرب إليه لكثرة أسبابها فيه.^٢

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^٣.

فإن الله دعانا إلى خلق حميد، وهو العفو عن الحقوق، وما كان ذلك الخلق قد يعسر على النفس، لما فيه من ترك ما تحبه من الملائم، من مال وغيره: كالانتقام من الظالم، وكان في طباع الأنفس الشح، علمنا الله تعالى دواء هذا الداء بدواءين.

أحد هما: دنيوي عقلي، وهو قوله: ﴿وَلَا تَنْسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، المذكر بأن العفو يقرب إليك البعيد، ويصير العدو صديقا وإنك إن عفت فيوشك أن تقترب ذنبها فيعفى عنك، إذا تعارف الناس الفضل بينهم، بخلاف ما إذا أصبحوا لا يتزاعون عن الحق.

الدواء الثاني: آخر يروحي روحي، وهو الصلاة التي وصفها الله تعالى في آية أخرى بأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، فلما كانت معينة على التقوى، ومكارم الأخلاق، حث الله على الحافظة عليها.^٤

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٣٧

٢ - التحرير والتنوير (٤٤٣ / ٢)

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٣٧

٤ - التحرير والتنوير (٤٤٤ / ٢)

عدم العفو صفة المُنافقين:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا وَعَدَ أَحْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».^١

١ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب علامه المُنافق، حديث رقم: ٣٤، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال المُنافق، حديث رقم: ٥٨

مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصِّدْقُ

حَدُّ الصِّدْقِ:

الصِّدْقُ هو: مطابقة الكلام للواقع، وقيل: هو موافقة السر للعلانية.

الصِّدْقُ مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^١.

وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هَرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رُكْبِ مِنْ قُرْيَشٍ، وَكَانُوا بُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرْيَشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءِ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَهَ الْرَّجُلِ الَّذِي يَرْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمانِهِ: قُلْهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبْنِي فَكَذِبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاةُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَوْنَا عَلَيْهِ كَذِبْنَا لَكَذِبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيْكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا دُوْ نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَأَشَرَّافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعَافُهُمْ؟ قُلْتُ بَلْ ضَعَافُهُمْ. قَالَ: أَيْرِيدُونَ أَمْ يَنْفَصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَرِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرِتَدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَهْمِمُونَ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُكِنِّي كَلِمَةً أُذْخِلَ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَّالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّرْكُوا مَا يَقُولُ آباؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَاةِ. فَقَالَ لِتَرْجُمانِهِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ

١ - سُورَةُ النَّجْمِ: الآية/ ٣ ، ٤

٢ - سُورَةُ النَّجْمِ: الآية/ ١١

أَنَّهُ فِيْكُمْ دُوْ نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرَّسُولُ تُبَعِثُ فِي نَسَبٍ قَوْمَهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَيِّهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَهْمُونَ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرَفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَفْرِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، نَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُرْبَيْشٍ بَطْنًا بَطْنًا فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّ خَيْلًا تُغْيِرُ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ مِنْ كَذِبٍ قَطُّ فَقَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو هَبِّ: أَهْلَهَا جَمَعْتَنَا؟ تَبَّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبِّ وَتَبَّ} [المسد: ١].^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ مُعْتَمِرًا فَنَزَلَ عَلَى أَيِّ صَفْوَانَ أُمِيَّةَ ابْنِ خَلْفٍ وَكَانَ أُمِيَّةً إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّامِ فَمَرَ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ فَقَالَ أُمِيَّةُ لِسَعْدٍ: انتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَغَقَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتَ فَطُفِتَ فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا أَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْبَيْتِ آمِنًا وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَاصْحَابَهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا حَتَّى قَالَ أُمِيَّةُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَيِّ الْحُكْمِ فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنْعَتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَا فَطَعْنَ عَلَيْكَ مَتَجْرَكَ إِلَى الشَّامِ فَجَعَلَ أُمِيَّةً يَقُولُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَيِّ الْحُكْمِ يُسَكِّنُهُ فَعَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ فَإِنِّي سِعْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْزُعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ قَالَ: إِيَّا يَ إِيَّا يَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ فَلَمَّا حَرَجُوا رَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ مَا قَالَ أَخِي الْيَثْرِيُّ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَ امْرَأَةُ أُمِيَّةَ: مَا يَدْعُنَا مُحَمَّدٌ فَلَمَّا جَاءَ الصَّرِيقُ وَحَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا تَذَكَّرُ مَا قَالَ لَكَ

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الجزية، باب فضل الوفاء بالعهد، حديث رقم: ٣٠١٩، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَرقل يَدْعُوهُ إِلَى، حديث رقم: ٣٤٠٩

٢ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٧٨)

أَخْوَكَ الْيَشْرِيُّ فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْوَادِي فَسِرْ مَعَنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ فَسَارَ مَعَهُمْ فَقَتَلَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ^١.

وفي السنة الخامسة والتلتين: بنت قريش (الكعبة) وتقاسمتها أرباعا، فلما انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، تنازعوا القبائل أيها يضعه موضعه، حتى كادوا يقتلون، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم من بني هاشم.

فكان صلى الله عليه وسلم هو أول داخل، فقالوا: هذا محمد، هذا الصادق الأمين، رضينا به، فحكموه، فبسط صلى الله عليه وسلم رداءه ووضع الحجر فيه، وأمر أربعة من رؤساء القبائل الأربع، أن يأخذوا بأربع التواب، فرفعوه إلى موضعه، فتناوله صلى الله عليه وسلم بيده المباركة، فوضعه في موضعه.^٢

عَنْ ابْنِ طَاؤِسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا تَلَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١] قَالَ عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي هَبٍ: كَفَرْتُ بِرِبِّ النَّجْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ كُلُّمَا مِنْ كِلَابِهِ قَالَ: فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَرَجَ عُتَيْبَةَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي عِيرٍ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّامِ فَرَأَوْا الْأَسْدَ فَجَعَلَتْ فَرَائِصُهُ تَرْعَدُ فَقَيْلَ لَهُ: مِنْ أَبِي شَيْءٍ تَرْعَدُ؟ فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ وَأَنْتَ إِلَّا سَوَاءٌ فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا دَعَا عَلَيَّ، لَا وَاللَّهِ مَا أَظْلَلَ السَّيَّاءَ عَلَى ذِي الْهُجَّةِ أَصْدَقَ مِنْ مُحَمَّدٍ ثُمَّ وَضَعُوا الْعَشَاءَ فَلَمْ يُدْخِلْ يَدَهُ فِيهِ ثُمَّ جَاءَ النَّوْمُ فَحَاطُوهُ بِمَتَاعِهِمْ وَوَسَطُوهُ بَيْنَهُمْ وَنَامُوا فَجَاءَهُمُ الْأَسْدُ يَهْمِسُ يَسْتَنْشِقُ رُؤُوسَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى انتَهَى إِلَيْهِ فَضَعَمَهُ ضَعَمَهُ كَانَتْ إِيَّاهَا فَغَزَّ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَّ أَقْلَنَ لَكُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا أَصْدَقُ النَّاسِ؟ وَمَاتَ.^٣

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا نَعَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَمْ يَكُنْ بِالظَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ وَمَمْ يَكُنْ بِالْجُعْدِ الْقَطَطِ وَلَا السَّبْطِ كَانَ جَعْدًا رَجُلًا لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلَا الْمُكْلَشِ وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدْوِيرٌ،

١ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٧٨)

٢ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص: ١١٩)

٣ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني - قصة عتبة بن أبي هب، حديث رقم: ٢٨٣

أَبْيَضَ مُشَرِّبًا، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ جَلِيلَ الْمُشَاشِ، أَجْرَدَ، شَنَّ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا
مَشَى تَقْلَعَ كَائِنًا يَمْشِي عَلَى صَبَبٍ وَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ مَعًا، بَيْنَ كَتِيفَيْهِ حَاتَمُ النُّبُوَّةِ وَهُوَ حَاتَمُ النَّبِيَّينَ،
أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًا، وَأَرْحَبَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَ النَّاسِ ذِمَّةً وَأَلَيْهِمْ عَرِيَّكَةً،
وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَأَهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ فَعَرَفَهُ أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلُهُ وَلَا بَعْدُهُ مِثْلُهُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^١

فضل الصدق ومنزلته عند الله تعالى:

إن تصدق الله يصدقك:

عَنْ شَدَادِ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ
قَالَ: أَهَا حِرْ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ عَرْوَةُ عَنِيمُ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيَّا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهَرَهُمْ،
فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْدَهُ
فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «قَسَمْتُهُ لَكَ»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا
اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أَرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمْوَاتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ
فَقَالَ: «إِنْ تَصْدِقَ اللَّهَ يَصْدِقُكَ»، فَلَيَثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَحْضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتْيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يُحْمَلُ قُدْ أَصَابُهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهُوَ هُوَ؟» قَالُوا: نَعَمْ،
قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فُقْتَلَ
شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ».^٢

وَقَالَ يَعْوُبُ بْنُ شَيْبَةَ: حَدَّثَنِي الْحَسْنُ الْحَلْوَانِيُّ، قَالَ: حَدَثَنَا الشَّافِعِيُّ، قَالَ:
دَخَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ عَلَى هَشَامَ، فَقَالَ لَهُ: يَا سُلَيْمَانُ مَنِ الَّذِي تَوَلَّ كِبِيرًا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: ابْنُ
سَلْوَلٍ، قَالَ: كَذَبْتَ بْلَهُو عَلَيِّ، فَدَخَلَ ابْنَ شَهَابٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ شَهَابٍ مَنِ الَّذِي تَوَلَّ كِبِيرًا؟

١ - شعب الإيمان (٢ / ١٤٨)

٢ - رواه النسائي - كتاب الجنائز، الصلاة على الشهداء، حديث رقم: ١٩٥٣، والحاكم - ذكر شداد بن الهاد رضي الله عنه،
حديث رقم: ٦٥٢٧، بسنده صحيح

قالَ: أَبْنُ أَبِيٍّ. فَقَالَ لَهُ: كَذَبْتَ بِإِنْ هُوَ عَلَيْيَ، قَالَ: أَنَا أَكَذِّبُ، لَا أَبَا لَكَ، فَوَاللهِ لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْلَى الْكَذِبَ مَا كَذَبْتُ، حَدَّثَنِي سَعِيدٌ، وَعُرْوَةُ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَاصٍ، عَنْ عَائِشَةَ "أَنَّ الذِّي تَوَلَّ كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ" ، قَالَ: فَلَمْ يَرَ الْقَوْمُ يُغْرُونَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: ارْجِلْ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يَتَبَغِي لَنَا أَنْ تَحْمِلَ عَنْ مِثْلِكَ، فَقَالَ: وَلِمَ؟ أَنَا اغْتَصَبْتُكَ عَلَى نَفْسِي أَوْ أَنْتَ اغْتَصَبْتَنِي عَلَى نَفْسِي فَحَلَّ عَنِي، فَقَالَ لَهُ: لَا، وَلَكِنَّكَ اسْتَدَنْتَ أَلْفَيَ أَلْفٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ وَأَبُوكَ قَبْلَ، أَبِيٍّ مَا اسْتَدَنْتُ هَذَا الْمَالَ عَلَيْكَ، وَلَا عَلَى أَبِيكَ، فَقَالَ هِشَامٌ: إِنَّا إِنْ نَهِيَ الشَّيْخَ يَهْجُ الشَّيْخُ، فَأَمَرَ فَقَضَى مِنْ دَيْنِهِ أَلْفَيَ أَلْفٍ، فَأُخْبِرَ بِدِلَّكَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِهِ.^١

الصدق سبب البركة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَكِيمَ بْنَ حِزَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «البَيْعَانُ بِالْخَيْرِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقاً وَبَيْنَا بُورَكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَّتْ بِرَكَةُ بَيْعِهِمَا».^٢

الصدق أقرب طريق إلى الجنة:

قالَ اللهُ تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْقُعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^٣.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ، وَإِنَّ الْبَرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَرَأُ الرَّجُلُ يَصُدُّقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى

١ - انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥ / ٣٧٠)، وتاريخ الإسلام ت: بشار (٣ / ٥١٤)، وسير أعلام النبلاء ط. الرسالة (٥ / ٥)، والوافي بالوفيات (٥ / ١٨)، وتهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٨ / ٢٨٧)، والمقفى الكبير (٧ / ١٣٨)

٢ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب ما يتحقق الكذب والكتمان في البيع، حديث رقم: ٢٠٨٢، ومسلم - كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، حديث رقم: ١٥٣٢

٣ - سورة المائدۃ: الآية/ ١١٩

يُكْتَبْ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَرَأُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبْ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».^١

عَنْ أَوْسَطَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَجْلِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرِ، حِينَ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ بَكَى أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبَرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ، وَسَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ حَيْثُ مِنَ الْمُعَافَاهَا، وَلَا تَحَاسِدُوْا، وَلَا تَباغِضُوْا، وَلَا تَقَاطِعُوْا، وَلَا تَدَابِرُوْا، وَكُونُوْا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».^٢

عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَعَبَّلُوا لِي بِسِتٍ تَتَقَبَّلُ لَكُمُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «إِذَا حَدَثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وَإِذَا أُؤْمِنَ فَلَا يَخْنُ، وَغَصُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُوا أَيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبه: ١١٩] وما ينهى عن الكذب، حديث رقم: ٦٠٩٤، مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم: ٢٦٠٧

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٥، وابن ماجه - كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم: ٣٨٤٩، والنسياني في السنن الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، مسألة المعافاة، وذكر اختلاف الفاظ التالقين لخبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك، حديث رقم: ١٠٦٥٣، وابن حبان - كتاب الرقائق، باب الأذعية، ذكر الأمر بسؤال العبد ربّه جل وعلا اليقين بعد المعافاة، حديث رقم: ٩٥٢، بسنده صحيح

٣ - رواه الحاكم - كتاب الحلوود، حديث رقم: ٨٠٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان - الإيفاء بالعقود، حديث رقم: ٤٠٤٦

الصدق طمأنينة:

عن أبي الحوراء السعدي، قال: قلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلَيْ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَانِيَّةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ».

الصدق عوضٌ عَمَّا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا:

عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهمما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَرَيْتُ إِذَا كَانَ فِيكَ لَا يَضُرُكُ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حَفْظٌ أَمَانَةٍ، وَصِدْقٌ حَدِيثٌ، وَحُسْنٌ حَلِيقَةٌ، وَعِفَّةٌ طُعمَةٌ".

الصدق من صفات المؤمنين، ومن شمائل الصالحين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاسِعِينَ وَالْخَاسِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْدَّاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

أمر الله تعالى بمحلازمه الصادقين لشرفهم، وعلو منزلتهم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٢٣، والترمذمي - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حدث رقم: ٢٥١٨، والنسيائي - كتاب الأشري، الحث على ترك الشبهات، حدث رقم: ٥٧١١، وابن خزيمة - كتاب الرغبة المختصر من المختصر على المسند على الشريطة التي ذكرها في أول الكتاب، باب ذكر تحريم الصدقة المفروضة على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٣٤٨، بسنده صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٦٥٢، والحاكم - كتاب الرقاقي، حدث رقم: ٧٨٧٦، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٤١، والبيهقي في الشعب - حفظ اللسان بما لا يحتاج إليه، حدث رقم: ٤٤٦٣، والخراطي في مكارم الأخلاق - حديث رقم:

١٣١، وصححه الألباني

٣ - سورة الأحزاب: الآية / ٣٥

٤ - سورة التوبه: الآية / ١١٩

عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: غاب عمّي أنسٌ بنُ النّضرِ عن قتالِ بدْرٍ، فقال: «يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لعن الله أشهدنـي قتال المشركين ليرى الله ما أصنع»، فلما كان يوم أحد، وانكشفَ المسلمون، قال: «اللّهُم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء»، يعني المشركين - ثم تقدّم، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: «يا سعدُ بن معاذ، الجنة ورب النّصر إني أحد ريحها من دون أحد»، قال سعد: فما استطعـت يا رسول الله ما صنعـ، قال أنس: فوجـدنا به بـضاً وثمانـين ضربـة بالسيف أو طعـنة بـرمـح، أو رمية بـسهمـ ووجـدناه قد قـتلـ وقد مـثـلـ به المـشـركـونـ، فـما عـرـفـهـ أحـدـ إـلاـ أحـتـهـ بـيـنـاهـ قال أنس: "كـنـا نـرـى أو نـظـنـ أنـ هـذـهـ الآـيـةـ نـزـلـتـ فـيـهـ وـفـيـ أـشـبـاهـهـ: {مـنـ الـمـؤـمـنـينـ رـجـالـ صـدـقـوا مـاـ عـاهـدـوا اللـهـ عـلـيـهـ} [الأحزاب: ٢٣]، إلى آخر الآية".

وقال مونتموري وات: (منذ ألقى كارلـيلـ مـحـاضـرـتهـ عنـ مـحـمـدـ ضـمـنـ سـلـسـلـةـ مـحـاضـرـاتـهـ عنـ الأـبطـالـ والـبـطـولـةـ، أـصـبـحـ الغـرـبـ عـلـىـ وـعـىـ بـوـجـودـ أـسـاسـ طـيـبـ لـلـاعـتـقـادـ فـيـ إـخـلـاصـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ. فـاسـتـعـدـادـهـ لـتـحـمـلـ اـضـطـهـادـ فـيـ سـبـيلـ مـعـقـدـاتـهـ، وـسـمـوـ الرـجـالـ الـذـيـنـ آـمـنـوا بـرـسـالـتـهـ وـالـذـيـنـ اـعـتـبـرـوـهـ قـائـدـاـ لـهـمـ، وـعـظـمـةـ مـاـ تـحـضـتـ عـنـهـ جـهـودـهـ مـنـ إـنجـازـاتـ - كلـ هـذـاـ يـرـهـنـ عـلـىـ تـكـامـلـهـ الـأسـاسـيـ (نـظـرـتـهـ الـكـلـيـةـ). لـقـدـ تـصـورـ الغـرـبـ مـحـمـداـ دـجـالـ أـثـارـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ أـكـثـرـ مـاـ قـدـمـ مـنـ الـحـلـولـ، وـأـكـثـرـ مـنـ هـذـاـ فـلـاـ أـحـدـ مـنـ عـظـمـاءـ التـارـيـخـ لـاقـىـ مـنـ الـغـبـنـ وـالـظـلـمـ فـيـ الغـرـبـ مـثـلـمـاـ لـاقـىـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـالـكـتـابـ الـغـرـيبـونـ يـكـادـونـ يـكـونـونـ مـنـ كـفـيـنـ عـلـىـ الـاعـتـقـادـ فـيـ كـلـ أـمـرـ يـشـينـ مـحـمـداـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـاـذاـ ظـهـرـ لـهـ تـفـسـيرـ كـرـيـهـ لـفـعـلـ يـبـدوـ مـعـقـولاـ وـمـنـطـقـيـاـ مـالـواـ إـلـىـ تـصـدـيقـهـ، وـعـلـىـ هـذـاـ، فـاـذاـ كـانـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـفـهـمـ مـحـمـداـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـكـلـ مـتـكـامـلـ، وـأـنـ نـصـحـ الـأـخـطـاءـ الـتـيـ وـرـثـاـنـاـ عـنـ الـمـاضـيـ فـلـابـدـ أـنـ نـؤـمـنـ بـاـخـلـاصـهـ وـصـدـقهـ إـلاـ إـذـاـ ثـبـتـ الـعـكـسـ، وـيـجـبـ أـلـاـ نـنسـىـ أـنـ الـبـرهـانـ الـأـخـيـرـ (الـنـتـيـجـةـ الـنـهـائـيـةـ)ـ تـتـطـلـبـ اـسـتـقـامـةـ أـكـثـرـ بـكـثـيرـ مـاـ يـتـطـلـبـهـ اـسـتـعـارـضـ الـمـعـقـولـيـةـ (الـقـابـلـيـةـ لـلـتـصـدـيقـ).ـ

١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسيف، باب قول الله تعالى: {مـنـ الـمـؤـمـنـينـ رـجـالـ صـدـقـوا مـاـ عـاهـدـوا اللـهـ عـلـيـهـ، فـمـنـهـمـ مـنـ قـضـىـ نـجـبـهـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـنـتـظـرـ وـمـاـ بـدـأـوا تـبـدـيـلـاـ} [الأحزاب: ٢٣]، حديث رقم: ٢٨٠٥، ومسلم - كتاب الإماراة، باب ثبوت الجنة للشهيد، حديث رقم: ١٩٠٣

٢ - محمد صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ مـكـةـ (صـ: ١٢١، ١٢٢)

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَصُ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ

من شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى الْخَيْرِ لِلنَّاسِ عَامَةً وَلِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً؛

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾

رَحِيمٌ ۝ ۱.

وَمِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَيْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ حِرْصُهُ عَلَى نِجَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَعَنْ
جَاهِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ
يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ» ۲.

قال القاضي عياض: قوله: «لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ»، تحذير من القنوط
المهلك، وحضر على الرجاء عند الخاتمة؛ لئلا يغلب عليه الخوف حينئذ فيخشى غلبة اليأس والقنوط
فيهلك.

وعبادة الله إنما هي من أصلين: الخوف والرجاء. فيستحب غلبة الخوف ما دام الإنسان في خيرية
العمل، فإذا دن الأجل وذهب المهل، وانقطع العمل، استحب حينئذ غلبة الرجاء؛ ليلقى الله تعالى
على حالة هي أحب الأحوال إليه جل اسمه؛ إذ هو الرحمن الرحيم، ويحب الرجاء وأثني على نبيه
عليه السلام بذلك. ۳

١ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية / ۱۲۸

٢ - رواه مسلم - كتاب الجنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بابُ الْأَمْرِ بِيُحْسِنِ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ، حديث رقم:

٢٨٧٧

٣ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٠٩ / ٨)

وَعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنْتَنَصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ إِمْتِنَانٌ لِلْوَالِدِ، أَعْلَمُكُمْ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْعَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدِرُّهَا وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَا عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِيِّ، وَالْمَاشِيُّ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِيِّ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ».^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشَ وَهَذِهِ الدَّوَابُ الَّتِي تَقْعُ في النَّارِ يَقْعُنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَعْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمُونَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَّزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا».^٤

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرْنَ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوْلِيَ مَالَ يَتَّسِعُ».^٥

١ - رواه البخاري - كتاب العلوم، باب الإنصات للعلماء، حديث رقم: ١٢١، ومسلم - كتاب الإيمان، باب «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»، حديث رقم: ٦٥

٢ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب كراهة استقبال القبلة عند قصاء الحاجة، حدديث رقم: ٨، بسنده حسن

٣ - رواه البخاري - كتاب المذاهب، باب علامات النبوة في الإسلام، حدديث رقم: ٣٦٠١، ومسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تزوير الفتن كموقع القطر، حدديث رقم: ٢٨٨٦

٤ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب الإنتحاء عن المعاصي، حدديث رقم: ٦٤٨٣، ومسلم - كتاب الفضائل، باب شفاعة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَصْرُهُمْ، حدديث رقم: ٢٢٨٤

٥ - رواه مسلم - كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حدديث رقم: ١٨٢٦

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَئِنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ».١

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةً؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلُسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةً؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةً تَسْبِيحةً، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَاطُ عَنْهُ أَلْفُ حَطَبَةٍ».٢

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقْلِبُ جَنَاحِيهِ فِي الْهُوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقَيَ شَيْءٌ يُفَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَايِعُهُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ يُبَيِّنَ لَكُمْ».٣

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَاقِ، عَنْ عِمْرَانَ، صَاحِبِ لَهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُقْرِبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَايِعُكُمْ عَنِ النَّارِ إِلَّا قَدْ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ، وَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعَيِ، وَأَحْبَرَنِي أَهْمَا لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِيَ أَقْصَى رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلْنَ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءً رِزْقَهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».٤

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل القرآن، باب فضل قلن هو الله أحد، حديث رقم: ٥٠١٥

٢ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٨

٣ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ١٦٤٧، بسنده صحيح

٤ - رواه عمر بن راشد - حديث رقم: ٢٠١٠٠، بسنده صحيح

النبي صلى الله عليه وسلم أرأفُ الناسِ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^١.

حد الرأفة:

الرأفة: أشد الرحمة.^٢

الفرق بين الرأفة والرحمة: قيل: الرأفة أشد الرحمة، وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة، والرأفة أقوى منها في الكيفية، لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم.^٣

صورٌ من رأفة النبي صلى الله عليه وسلم:

عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينما أنا أصللي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطسَ رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثكل أمياء، ما شأنكم؟ تنظرون إلئي، فجعلوا يضربونا بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكي سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهري ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتُ: يا رسول الله، إني حديث عهد بجهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان، قال: «فلا تأبهم» قال: ومنا رجال يتطهرون، قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدّهم - قال ابن الصبّاح: فلا يصدّنكم - » قال قلتُ: ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنباء يخط، فمن وافق خطه فداك» قال: وكانت لي جارية ترعى غناما لي قبل أحد والجواني،

١ - سورة التوبة: الآية / ١٢٨

٢ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤ / ١٣٦٢)

٣ - معجم الفروق اللغوية (ص: ٢٤٦)

فَاطَّلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الدِّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاءٍ مِنْ عَنْمَهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتَقُهَا؟ قَالَ: «أَتَيْتُهُ بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَقُهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». ^١

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحِينَ وَقَدْ جَنَاحَ اللَّيْلِ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَعْرَةِ - أَوِ النِّسَاءِ - فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَّا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَأْنُ أَنْتَ» - أَوْ «أَفَاتِنْ» - ثَلَاثَ مِرَارٍ: «فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَعْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَدُوَّ الْحَاجَةِ». ^٢

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ إِمَّا يُطْوِلُ بِنَا فُلَانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنْقَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلِيُحَقِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ». ^٣

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَّةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقْمَنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اسْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلْنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «إِرْجِعُوهَا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَفِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِمُوهُمْ، وَمُرْوُهُمْ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحْدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤْمِكُمْ أَكْبَرُكُمْ». ^٤

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَحْريمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَسُنْنَةِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، حديث رقم: ٥٣٧

٢ - تقدم تخریجه

٣ - تقدم تخریجه

٤ - تقدم تخریجه

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا، قَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَدْرُثُ لِلَّهِ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَكَّةَ، أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ رَكْعَيْنِ، قَالَ: «صَلِّ هَاهُنَا»، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «صَلِّ هَاهُنَا»، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «شَأْنُكَ إِذْنٌ».^١

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتَّيَ شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْدُنْ لِي بِالزَّنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: "اَدْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَفْتُحْبُهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَمْمَاهَا تَهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخُتِلَكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَوَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَّى يُلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ^٢.

١ - تقدم تخریجه

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٢١١ ، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٦٧٩ ، ومسند الشاميين - حديث رقم: ١٠٦٦

بسند صحيح

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِيَّاثَارُ

تعريف الإيثار:

الإيثار: هو تفضيل الغير على النفس؛ يقال: آثرتُك إيثاراً أي: فَضَّلْتُك.

وقال الجرجاني: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة.^١

وقيل الإيثار: الإعطاء مع الكف عن حاجته.^٢

فضل الإيثار:

مِنْ شَكَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِيَّاثَارُ:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ سَهْلٌ: هَلْ تَدْرِي مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاسِبَيْهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسْجَتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوْكَهَا، فَأَحَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْهَا، وَإِنَّهَا لِإِرَادَةِ فَجَسَّهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُبَيْهَا، قَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهَا لَا يَرْدُدُ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهَا إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ الْمُوتُ. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.^٣

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَلَّا يَرِدُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكِيدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُنُوْنِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشْدُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُنُوْنِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَمَا يَفْعَلُ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلُ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو

١ - التعريفات (ص: ٤٠)

٢ - معجم مقاييس العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٢٠٦)

٣ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكح عليه، حديث رقم:

القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرِّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ» وَمَضَى فَتَبَعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذْنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا الْلَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرِّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضِيافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاؤِلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةً أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكُ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا الْلَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا الْلَّبَنِ شَرِبَةً أَنْفَوَى إِلَيْهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيَهُمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا الْلَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدُّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْكُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذْنَ لَهُمْ، وَأَخْدُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرِّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أَعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشَرِبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشَرِبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انتهِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرِّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشَرِبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشَرِبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشربْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَعْلَمُ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلِكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَسَرِبَ الْفَضْلَةَ.

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْحَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْحَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطَنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْتَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَدُوقُ ذَوْاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْدَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِأَمْرَأِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبَرْ، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنْتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا الْلَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَجِيْنُ قَدْ

١ - رواه البخاري - كتاب الرياق، باب: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَتَحَلَّلَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، حديث رقم:

انكسر، والبرمة بين الأثنين قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فعممت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو» فذكرت له، قال: «كثير طيب»، قال: قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الحبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا فقام المهاجرون، والأنصار، فلما دخل على أمراته قال: ويحل جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا» فجعل يكسر الحبز، ويجعل عليه اللحم، ويحمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الحبز، ويعرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: «كلي هذا وأهدني، فإن الناس أصحابهم مجاءة».^١

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه، قال: لما حضر الحندق رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حمّاصاً، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حمّاصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بعير ذا حنف، قال: فذهبناه طحنت، ففرغت إلى فراغي، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، قال: فحيثه فسارة، قلت: يا رسول الله، إننا قد ذبحنا بعير لانا، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معلم، فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أهل الحندق، إن جابر قد صنع لكم سوراً فحيه هلا بكم»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنزلن برمتكم، ولا تحزن عجينتكم حتى أجيء»، فحيث وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي، قالت: بك وبك، قلت: قد فعلت الذي قلت لي، فأخرجت له عجينتنا بصاق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا بصاق فيها وبارك، ثم قال: «اذعي خاربة فلتخيز معلم، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها» وهم ألف، فاقسم بالله لا كلوا حتى ترکوه والحرفوا، وإن برمتنا لتعط كما هي.^٢

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أفراساً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها، فلقت الحبز بغضبه، ثم دسته تحت يدي ولا شئني بغضبه، ثم

١ - رواه البخاري - كتاب المعازى، باب غزوة الحندق وهي الأحزاب، حديث رقم: ٤٠١

٢ - رواه البخاري - كتاب المعازى، باب غزوة الحندق وهي الأحزاب، حديث رقم: ٤٠٢، ومسلم - باب جواز استباعه غيره

إلى ذارٍ من يبغضه بذلك، وبتحقيقه تحقق تماماً، واستحباب الجماع على الطعام، حديث رقم: ٢٠٣٩

أَرْسَلْتُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَدَهْبَثُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعْهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آرْسَلْكَ أَبُو طَلْحَةَ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانطَّلَقَ وَانطَّلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانطَّلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْمِي يَا أَمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْحَبْزَ، فَأَمْرَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُتِّلَ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدْمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّدَنْ لِعَشَرَةَ» فَأَذَنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَيْعُوا ثُمَّ حَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّدَنْ لِعَشَرَةَ». فَأَذَنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَيْعُوا ثُمَّ حَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّدَنْ لِعَشَرَةَ» فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَيْعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَائُونَ رَجُلًا».

أثر التخلق بالإيثار على المسلمين:

الإيثار من أجل مكارم الأخلاق، وهو دليل شرف النفس، وعلامة سموها ورفعتها،

إيثار الأنصار رضي الله عنهم:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْهُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني مجھود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق، ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذى بعثك بالحق، ما عندى إلا ماء،

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٥٧٨، ومسلم - كتاب الأشربة، باب جواز استنباعه غيره إلى ذار من يتحقق به رضاه بذلك، وبتحققه تتحقق تاماً، واستحباب الإجتماع على الطعام، حديث رقم: ٢٠٤٠

٢ - سورة الحشر: الآية / ٩

فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحْمَةً اللَّهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانطَّلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِمَرْأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوْتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفَئَ السِّرَاجَ، وَأَرْيَهُ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلُ، فَقُومُي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِنِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلُوا الضَّيْفَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». ^١

البر أثر من آثار الإيثار:

قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾. ^٢

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من تحمل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويسرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾. قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ف قال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾. وإن أحب أموالى إلى بيرحاء، وإياها صدقة لله، أرجو بيرحاء وذرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابع، ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». ^٣

وعن ابن عمر رضي الله عنهم، قال: أصاب عمر بخيث أرضًا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أصبت أرضا لم أصبه مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبس أصلها وتصدقت بها»، فتصدق عمر أنه لا ينفع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء، والقرى

١ - رواه مسلم - كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيتاره، حديث رقم: ٢٠٥٤

٢ - سورة آل عمران: الآية / ٩٢

٣ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث رقم: ١٤٦١، ومسلم - كتاب الزكاة، باب فضل النفقه والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركيين، حديث رقم: ٩٩٨

والرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلَيْهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ.^۱

إِيَّاثُ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْتَمُوا فِي الْغَزْوَةِ، أَوْ قَالُوا طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ افْتَسَمُوا بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». ^۲

الإِيَّاثُرُ ضَدُ الشُّحِّ فَإِنَّ الْمُؤْثِرَ عَلَى نَفْسِهِ تَارِكٌ لَمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ وَالشَّحِيفُ حَرِيصٌ عَلَى مَا لَيْسَ

بِهِ

إِيَّاثُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَلَكَ رَجُلٌ مَفَازَةً عَابِدٌ، وَالْآخَرُ بِهِ رَهْقٌ، فَعَطَشَ الْعَابِدُ حَتَّى سَقَطَ، فَجَعَلَ صَاحِبُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ مِيسَادٌ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهُوَ صَرِيعٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ هَذَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَطَشًا وَمَعِي مَاءٌ لَا أُصِيبُ مِنْ اللَّهِ حَيْرًا أَبَدًا، وَلَئِنْ سَقَيْتُهُ مَائِي لَأَمُوتَنَّ، فَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَزَّزَ، فَرَشَّ عَلَيْهِ مِنْ مَائِهِ وَسَقَاهُ فَضْلَهُ، فَقَامَ حَتَّى قَطَعاً الْمَفَازَةَ، فَيُوقَفُ الَّذِي بِهِ رَهْقٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ، فَيُؤْمِرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَتَسْعُقُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَرِي الْعَابِدَ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانُ الَّذِي آتَيْتُكَ عَلَى نَفْسِي يَوْمَ الْمَفَازَةِ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَعْرِفُكَ. فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: قِفُوا، فَيَقْفُونَ وَيَحْيِيُ حَتَّى يَقِفَ، فَيَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ تَعْرِفُ يَدَهُ عِنْدِي، وَكَيْفَ آتَيْتَنِي عَلَى نَفْسِي، يَا رَبِّ هَبْهَةٍ لِي، فَيَقُولُ لَهُ: هُوَ لَكَ، فَيَحْيِيُ فَيَأْخُذُ بَيْدِ أَخِيهِ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ». ^۳

۱ - رواه البخاري - كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، حديث رقم: ۲۷۳۷، ومسلم - كتاب الوصية، باب الوقف، حديث رقم: ۱۶۳۲

۲ - رواه البخاري - كتاب الشريكة، باب الشريكة في الطعام والتهجد والعرض، حديث رقم: ۲۴۸۶، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مِنْ فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، حديث رقم: ۲۵۰۰

۳ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ۲۹۰۶، وأبو يعلى - حديث رقم: ۴۲۱۲، بسنده ضعيف

الرُّهْدُ مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حدُّ الرُّهْدِ:

الرُّهْدُ: هو عدم الرغبة في الدنيا، وضده الحرص عليها.

مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّهْدُ فِي الدُّنْيَا:

عَلَةُ زُهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذْهُدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبِّكَ اللَّهُ، وَإِذْهُدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبِّكَ النَّاسُ». ^١

لما كان الزهد في الدنيا من أسباب محبة الله تعالى للعبد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزهد الناس ولأنها لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة، فلا ينبغي لعاقل أن لها فضلا عن أن ينافس عليها، وكيف ينافس عليها وهي مثل الجيفة؛ فعن جابر بن عبد الله، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بِالسُّوقِ، دَأْخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَّةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَهْدِيِّ أَسَلَّكَ مَيْتَ، فَتَنَاهَوْلَهُ فَأَحَدَ بِأَذْنِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَئُكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدْرَهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَئُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَلَّكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتُ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لَكُلُّ دُنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ». ^٢

إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ تَلْكَ حَقِيقَتَهَا، فَكَيْفَ لَا يَزَهُدُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَدَ النَّاسَ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَكَيْفَ لَا، وَهُوَ يُعْطِي عَطَاءَ مِنْ لَا يَخْشِيُ الْفَقْرَ؟

١ - رواه ابن ماجه - كتاب الرُّهْدِ، باب الرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، حديث رقم: ٤١٠٢، بسنده صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الرُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، حديث رقم: ٢٩٥٧

مِنْ زُهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَنْامُ عَلَى الْحَصِيرِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: «ذَهَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ مُتَكَبِّرٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ فَرَأَيْتُ أَثْرَهُ فِي جَنْبِهِ»، وَفِيهِ قَالَ: «فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ، إِلَّا أَهْبَا ثَلَاثَةَ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومَ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمَّ قَالَ: «أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِلْتُ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».^١

الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله بمعنى مخلوقه. والمراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير.^٢

قال القاضي عياض: يحتاج به من يفضل الفقر على الغنى، لما في مفهوم هذا أن بمقدار ما يتعجل من طيبات الدنيا يفوته من الآخرة ما كان يدخل له لو لم يستعجله، وقد يتأنله الآخرون بأن المراد أن حظ هؤلاء من النعيم ما نالوه في الدنيا، ولا حظ لهم في الآخرة لکفرهم.^٣

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا شَيَعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ قَدِيمِ الْمَدِينَةِ، مِنْ طَعَامٍ بُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّىٰ قُبِضَ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَكَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنُ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالُ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوْقِدَتْ فِي أَيَّيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارًا»، فَقُلْتُ يَا حَالَهُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الْأَسْوَدُانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١ - رواه مسلم - كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، وأغترال النساء، وتحيرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ ظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤]

الحديث رقم: ١٤٧٩

٢ - شرح المشكاة للطبي الكافش عن حقائق السنن (٣٣١٢ / ١٠)

٣ - إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٤ / ٥)

٤ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصْحَابِهِ، وَتَحْلِيلُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، الحديث رقم:

٦٤٥٤، ومسلم - كتاب الزهد والرقاق، الحديث رقم: ٢٩٧٠

جِرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَ هُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِيَنَاهُ». ^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالْتُ: وَالَّذِي بَعَثْتَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثْتَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءُ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحْمَةً اللَّهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبَيْانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَاطِفَيِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلُ، فَقُومُي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلُ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَّا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». ^٢

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ فُوتًا». ^٣

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ بِأَيِّ بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجْتُكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُنُوْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، فُؤُمُوا»، فَقَامُوا مَعْهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتُهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ فُلَانُ؟» قَالَتْ: دَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدُ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ،

١ - رواه البخاري - كتاب الرِّفاقت، باب: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَخَلِيلِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، حديث رقم:

٦٤٥٩، ومسلم - كتاب الرُّهْدَةِ وَالرِّفاقت، حديث رقم: ٢٩٧٢

٢ - رواه مسلم - كتاب الأَشْرِقَةِ، باب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيَّارِهِ، حديث رقم: ٢٠٥٤

٣ - رواه مسلم - كتاب الرُّهْدَةِ وَالرِّفاقت، حديث رقم: ١٠٥٥

فَجَاءُهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَّتْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَاحْدَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعَدْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَيِّي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيوْتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوهَا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ». ^١

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاهٌ مَصْلِيَّةُ، فَدَعَوْهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ حُبْزِ الشَّعَيرِ». ^٢

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيَا، وَأَهْلُهُ لَا يَحْدُونَ عَشَاءً، قَالَ: وَكَانَ عَامَةُ حُبْزِهِمْ حُبْزُ الشَّعَيرِ». ^٣

عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَأَءَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرِ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً، فَتَحَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَّرِ نِسَائِهِ، فَفَزَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَهْمُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئاً مِنْ تِبْرِ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسِنِي، فَأَمْرَتُ بِقِسْمَتِهِ». ^٤

قال ابن حجر: قولُهُ «يَحْبِسِنِي» أَيْ: يَشْغُلُنِي التَّفَكُّرُ فِيهِ عَنِ التَّوْجِهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

١ - رواه مسلم - كتاب الأشربة، باب جوار استتابعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحقيقه تحفقاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، حديث رقم: ٢٠٣٨

٢ - رواه البخاري - كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون، حديث رقم: ٥٤١٤

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٠٣، والترمذمي - أبواب الرهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وأهله، حديث رقم: ٢٣٦٠، وابن ماجه - كتاب الأطعمة، باب حبز الشعير، حديث رقم: ٣٣٤٧، بسند صحيح

٤ - رواه البخاري - كتاب الأداء، باب من صلى بالناس، ذكر حاجة فتحطأهم، حديث رقم: ٨٥١

٥ - فتح الباري لابن حجر (٣٣٧ / ٢)

الفصل الثالث

واجب المسلمين نحو خاتم المسلمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لا شك أن من أولى ما يجب على المسلم معرفته بعد توحيد الله تعالى معرفة رسول الله محمد صلى الله عليه، ومعرفة صفات الكريمة وشمائله الشريفة، لتحقق الأسوة التي أمرنا الله تعالى بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^{١.}

مَكَانَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُنْهِي وَيُحْبِطُ فَامْتُوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ هَتَّدُونَ﴾^{٢.}

وقال تعالى: ﴿لَا تُنْذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^{٣.}

وعن جابر بن عبد الله الأنباري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلني، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود».^{٤.}

١ - سورة الأحزاب: الآية / ٢١

٢ - سورة الأعراف: الآية / ١٥٨

٣ - سورة الأنعام: الآية / ١٩

٤ - رواه البخاري - كتاب التيام، حدث رقم: ٣٣٥، ومسلم - كتاب المساجد ومتواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، حدث رقم: ٥٢١

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.^١

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلني، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي العنايم، ولم تحل لأحد قبلني، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجدًا، فائماً رجلاً أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة».^٢

نصر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي العنايم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختمت بي النبوة».^٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنِ اللَّيلُ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَّ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.^٤

١ - سورة الأحزاب: الآية / ٤٠

٢ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسيير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، حدث رقم: ٢٩٧٧، ومسلم - كتاب المساجد ومواقع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا طهوراً، حدث رقم: ٥٢١

٣ - رواه مسلم - كتاب المساجد ومواقع الصلاة، حدث رقم: ٥٢٣

٤ - سورة الإسراء: الآية / ٧٩

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْخَلْقِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».^٢

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيلُ اللَّهِ تَعَالَى :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : حَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسَ وَقَالَ : «إِنَّ اللَّهَ حَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاحْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِبَكَائِهِ : أَنْ يُحْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ حُبِيرَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَحْبِيرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا حَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُحِبُّ إِلَيْهِ إِلَّا سُدًّا إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».^٣

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ حَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ حَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ حَلِيلُ اللَّهِ».^٤

١ - سورة التوبه: الآية / ١٢٨

٢ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب تفضيل تبليساً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَاقِ، حدث رقم: ٢٢٧٨

٣ - رواه البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «سُدُّوا الْأَبْوَابُ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»، حدث رقم: ٣٦٥٤، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حدث رقم: ٢٣٨٣

٤ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حدث رقم:

زَكَاهُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

زَكَى أَخْلَاقَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .^١

وَزَكَى قَلْبَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ .^٢

وَزَكَى لِسَانَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ .^٣

وَزَكَى إِيمَانَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ .^٤

وَعْدُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرْضِيهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ .^٥

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُولُو الْجَنَّةِ:

عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ".^٦

غَفَرَ اللَّهُ لِهِ ذَنْبَهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنَمِّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ .^٧

١ - سورة القلم: الآية/ ٤

٢ - سورة النجم: الآية/ ١١

٣ - سورة النجم: الآية/ ٣ ، ٤

٤ - سورة النجم: الآية/ ٢

٥ - سورة الصافع: الآية/ ٥

٦ - رواه مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ في قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَسْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثُرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعَا»،

حديث رقم: ١٩٧

٧ - سورة الفتح: الآية/ ١ : ٣

رفع الله له ذكره:

فَالَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾^١.

الإِيمَانُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَيِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^٢.

عَنْ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَزْبَعِ يَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ بَعْثَنِي بِالْحَقِّ وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ».^٣

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهُدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جَئْنُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».^٤

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَمَمْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».^٥

١ - سورة الشُّورى: الآية / ٤

٢ - سورة الفتح: الآية / ٨ ، ٩

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٧٥٨، والترمذى - أبُو ابْنِ الْفَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ حَيْرَهُ وَشَرِّهُ، حديث رقم: ٢١٤٥، وابن ماجه - المقدمة، بَابُ فِي الْقَدَرِ، حديث رقم: ٨١، بسنده صحيح

٤ - رواه البخارى - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ: ﴿ فَإِنْ تَأْمُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ فَعَلَوْهُ سَبِيلُهُمْ ﴾ [التوبه: ٥]، حديث رقم: ٢٥ مسلم - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، حديث رقم: ٢٢

٥ - رواه مسلم - كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخَ الْمِلَلِ بِمِلَلِهِ، حدث رقم: ١٥٣

طاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه ونحوه:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ يَأْذِنُ اللَّهُ وَلَوْ أَتَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرُهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِمَّا قَضَيْتَ وَإِمَّا سَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^١.

قال ابن كثير: أي فرض طاعته على من أرسله إليهم.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِأَ فَلَيُحَدِّرَ الَّذِينَ يُخَالِقُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٢.

قال الله تعالى: ﴿فُلُونَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^٣.

قال ابن كثير: دل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويقرب إليه، حتى يتبع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الشقين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون، بل أولو العزم منهم في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته.

صور رائعة لطاعته صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن كعب، أنه تقاضى ابن أبي حذردة دينًا كان له عليه في المسجد، فارتقت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته، فنادى: «يا كعب» قال: لبيك يا رسول الله، قال: «ضع من دينك هدا» وأواماً إليه: أي الشطر، قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فاقضه».^٤

١ - سورة النساء: الآية / ٦٤ ، ٦٥

٢ - سورة النور: الآية / ٦٣

٣ - سورة آل عمران: الآية / ٣٢

٤ - رواه البخاري - كتاب الصلاة، باب التقاضي وللملائمة في المسجد، حديث رقم: ٤٥٧، ومسلم - كتاب المساقة، باب

استحباب الوضوء من الدين، حديث رقم: ١٥٥٨

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى حَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُذْ حَاتِمَكَ اتَّفَعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا آحْذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ^١

محبته فوق محبة الأهل والمال والولد:

قال الله تعالى: ﴿فُلِنْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَإِنَّمَا يُحِبُّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾

رحيم ^٢

عن أنسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ». ^٣

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوةً إِيمَانٌ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مَا سِواهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ». ^٤

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمًا وَلَا يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ». ^٥

عن جابرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمْرَ أَبِي بَخْرِيَّةَ، فَصَنِعْتُ، ثُمَّ أَمْرَنِي فَحَمَلْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا جَابِرُ، أَحْمَمْ ذَا؟» قُلْتُ: لَا،

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان والتبينة، باب طرح حاتم الذهب، حديث رقم: ٢٠٩٠

٢ - سورة آل عمران: الآية / ٣١

٣ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب: حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْإِيمَانِ، حدیث رقم: ١٥، ومسلم - كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عذم الإيمان على من لم يحبه هذه المحببة، حدیث رقم: ٤

٤ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حدیث رقم: ١٦، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حدیث رقم: ٤٣

٥ - رواه مسلم - كتاب الفضائل، باب فضل النظر إلىه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنِّيهِ، حدیث رقم: ٢٣٦٤

وَلَكِنَّهَا حَزِيرَةً، فَأَمَرَ رَبِّهَا فَقُبِضَتْ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْ أَيِّ، قَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ قَالَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا هَذَا يَا جَابِرُ الْحُمْ ذَا؟» فَقَالَ أَيِّ: عَسَى أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اشْتَهَى الْحُمْ، فَقَامَ إِلَيْ دَاجِنٍ لَهُ فَذَبَحَهَا، ثُمَّ أَمَرَ رَبِّهَا فَشُوِيَّتْ، ثُمَّ أَمَرَنِي فَحَمَلْتُهُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا جَابِرُ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجَعْتُ إِلَيْ أَيِّ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ قَالَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا هَذَا الْحُمْ ذَا؟» فَقَالَ أَيِّ: عَسَى أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اشْتَهَى الْحُمْ، فَقَامَ إِلَيْ دَاجِنٍ عِنْدَهُ فَذَبَحَهَا، ثُمَّ أَمَرَ رَبِّهَا فَشُوِيَّتْ، ثُمَّ أَمَرَنِي فَحَمَلْتُهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَزَى اللَّهُ الْأَنْصَارَ عَنَّا حَيْرًا، وَلَا سِيمَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ حَرَامٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ». ^١

صُورٌ رائعةٌ لِحُبِّ الصَّحَابَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيِّ طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَعَى أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: إِنَّ حَيَاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَبَ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبْرًا وَمَرْقًا، فِيهِ دُبَائٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتَتَبَعُ الدُّبَائَ مِنْ حَوَالِيِ الْقَصْعَةِ»، قَالَ: «فَلَمَّا أَزْلَ أَحِبُّ الدُّبَائَ مِنْ يَوْمِنِي». ^٢

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَيِّ وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخْوَهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحْدَى، فَلَمَّا نَعْوَاهَا، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: حَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ مُحَمَّدُ اللَّهُ كَمَا تُحِبُّينَ،

١ - رواه ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، رجاهُمْ وَنِسَائِهِمْ بِدِكْرِ أَسْمَائِهِمْ رَضْوانُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، حديث رقم: ٧٠٢٠، بسنده صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالى القصعة مع صاحبه، إذا لم يعرف منه كراهيته، حديث رقم: ٥٣٧٩
ومسلم - كتاب الأشربة، باب جواز أكل المرق، واستحباب أكل اليقطين، وإثمار أهل المائدة بعضهم بعضًا وإن كانوا ضيقاً إذا لم يكُنْ ذلِكَ صَاحِبُ الطَّعَامِ، حديث رقم: ٢٠٤١

قالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَ! ثُبِرْدُ صَغِيرَةً.^١

كثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم:

عن أبي بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَةِ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ ذَكْرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ إِمَّا فِيهِ جَاهَةُ الْمَوْتِ إِمَّا فِيهِ»، قَالَ أَبُوهُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكُمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعُ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفُ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثَةِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُعْفَرُ لَكَ دَبْبُكَ».^٢

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمَا، أنَّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِذَا سِمعْتُمُ الْمُؤْدِنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُوْا عَلَىٰ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىٰ صَلَاتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوْا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».^٣

متابعة النبي صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.^٤

١ - سيرة ابن هشام ت السقا (٩٩ / ٢)

٢ - رواه الترمذى - أبوبكير صفة القيمة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٤٥٧، والحاكم - كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، حديث رقم: ٣٥٧٨، والبيهقي في الشعب - تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتقديره، حديث رقم: ١٤٧٧

٣ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة، حديث رقم: ٣٨٤

٤ - سورة الأحزاب: الآية/ ٢١

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، وَاسْمُهَا حَوْلَةُ بْنُتُ حَكِيمٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بَدَّةُ الْهَيْئَةِ، فَسَأَلَتْهَا عَائِشَةُ: مَا شَأْنُكِ؟، فَقَالَتْ: رَوْجِي يَقُولُ اللَّيلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ عَائِشَةَ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ حَسَنَةٌ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا حَشَاءُكُمْ لِلَّهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِلَّهِ».١

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَصْرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُكَ مَا قَبَّلْتَكَ».٢
عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَقَالَ سَعِيدُ: فَلَمَّا حَشِيتُ الصُّبْحَ نَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: حَشِيتُ الصُّبْحَ، فَنَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَقُلْتُ: بَلَى وَاللَّهُ، قَالَ: «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ».٣

عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَاحِبُتْ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، قَالَ: فَصَلَّى لَنَا الظُّهُرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَأَقْبَلْنَا مَعْهُ، حَتَّى جَاءَ رَحْلَهُ، وَجَلَسَ وَجَلَسْنَا مَعْهُ، فَحَانَتْ مِنْهُ التِّفَاعَةُ نَحْنُ حَيْثُ صَلَّى، فَرَأَى نَاسًا قِيَاماً، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هُؤُلَاءِ؟» فُلِتُ: يُسَيِّحُونَ، قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُسَيِّحاً لَأَنْتَمْتُ صَلَّاتِي، يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَصَاحِبُتْ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، وَصَاحِبُتْ عُمَرَ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، ثُمَّ صَاحِبُتْ عُثْمَانَ،

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٥٨٩٣ ، وابن حبان - المقدمة، باب الاعتراض بالسنته وما يتعلق بها نفلا وأمرا وزجر، ذكر الأخبار عمما يحب على المرء من أنروم هدي المصطفى يترك الانزعاج عمما أبى من هذه الدنيا له بإغضائه، حديث رقم: ٩ ،

٢ - رواه البخاري - كتاب الحجج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، حديث رقم: ١٥٩٧ ، ومسلم - كتاب الحجج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، حديث رقم: ١٢٧٠

٣ - رواه البخاري - كتاب الجمعة، أبواب الوتر، باب الوتر على الدائمة، حديث رقم: ٩٩٩ ، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصدهما، باب حوار صلاة النافلة على الدائمة في السفر حيث توجهت، حديث رقم: ٧٠٠

فَلَمْ يَرِدْ عَلَى رَكْعَتِينِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ» وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ .
[الأحزاب: ٢١]

عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: طَفْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا كُنْتُ عِنْدَ الرَّكْنِ الَّذِي يَلِي الْبَابَ إِمَّا
يَلِي الْحَجَرَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِيَسْتَلِمَ، فَقَالَ: أَمَا طَفْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى،
قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَهُ يَسْتَلِمُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنْفَدْ عَنْكَ فَإِنَّ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً۔

فَقُولُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِيَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ رَأَيْتَهُ يَسْتَلِمُهُ؟ بِيَانٍ أَنَّ
الدِّينَ قَاسِرٌ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ لَا يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا بِمَا شَرَعَ فِي
كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما قال صاحب سلم الوصول:

فَاللَّذِينُ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّفَلِ
لَيْسَ بِالْأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ

**

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرُّزَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ،
فَاسْتَنَاخَتْ بِهِ رَاحِلَتَهُ بَيْنَ دَارِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَيٍّ وَدارِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ، فَأَتَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، الْمَنْزِلُ، فَانْبَغَثَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ثُمَّ حَرَجَتْ بِهِ، حَتَّى جَاءَتْ
بِهِ مَوْضِعُ الْمِنْبَرِ، فَاسْتَنَاخَتْ بِهِ، ثُمَّ بَحَلَّجَلَتْ، وَلِنَاسٍ ثُمَّ عَرِيشٌ كَانُوا يَرْشُونَهُ وَيَعْمَرُونَهُ وَيَتَبَرَّدُونَ فِيهِ،
حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَوَى إِلَى الظِّلِّ، فَنَزَلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ أَبُو أَيُوبَ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْزِلِي أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ إِلَيَّكَ، فَانْقَلَ رَحْلَكَ إِلَيْهِ، قَالَ «نَعَمْ»، فَلَدَّهَ بِرَاحِلَتِهِ إِلَى
الْمَنْزِلِ، ثُمَّ أَتَاهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْزِلْ عَلَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحْلِهِ حَيْثُ كَانَ»
وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ اثْنَا عَشَرَ لَيْلَةً حَتَّى بَنَى الْمَسْجِدَ۔^٣

قوله: «بَحَلَّجَلَتْ»: أي تحركت.

١ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرهما، باب صلاة المسافرين وقصرهما، حديث رقم: ٦٩٨

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٥٣

٣ - رواه سعيد بن منصور في السنن - كتاب الجهاد، باب جامع الشهادة، حديث رقم: ٢٩٧٨ ، والطبراني في الأوسط - حديث

رقم: ٣٥٤

وفيه حرصُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِبْوَائِهِ وَمَجَاوِرَتِهِ، وَمَسَارِعَتِهِمْ فِي طَلْبِ الْقَرْبِ مِنْهُ، وَفَتْحِ دُورَهِمْ لَهُ، وَالْأَنْسِ بِمَسَاكِنِهِ وَمَعْجَالِسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ حَلْفٍ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا شَابٌ مُتَأَرِّزٌ بِبُرْدَةٍ لِي مَلْحَاءً أَجْرُهَا، فَأَدْرَكَنِي رَجُلٌ فَعَمَرَنِي بِمِحْصَرَةٍ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا لَوْ رَفَعْتَ ثَوْبَكَ كَانَ أَبْقَى وَأَنْقَى»، فَأَنْتَفَتْ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءٌ، قَالَ: «وَإِنْ كَانَتْ بُرْدَةً مَلْحَاءً، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ»، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ، وَتَحْتَ الْعَضَلَةِ». ^١

تَعْظِيمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوْقِيرُهُ:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ^٢

وَعَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي سِيَافَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبْنَاهُ، أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَّا؟ أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَّا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَجَلٌ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُتِّلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطْفَثُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ». ^٣

وَقَالَ عَلَيُّ بْنُ زَيْدٍ: بَلَغَ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيرِ، عَنْ عَرِيفِ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، فَهُمْ بِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ لَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ حَيْرًا - أَوْ

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٠٨٧، وفي سنته ضعف

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦]، حديث

رقم: ٣٤٤٥

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدى ما قبله وكذا الحجرة والحج، حديث رقم: ١٢١

قالَ: مَعْرُوفًا - افْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَحَاوُرُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»، فَالْقَى مُصْبَعُ نَفْسَهُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَأَلْزَقَ حَدَّهُ بِالْبِسَاطِ، وَقَالَ: أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ فَتَرَكَهُ.

وَعَنْ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ قَالَ: قَضَى سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى رَجُلٍ بِقَضِيَّةٍ بِرَأْيِ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَلَافٍ مَا قَضَى بِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ لِرَبِيعَةَ: هَذَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وَهُوَ عِنْدِي ثِقَةٌ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَلَافٍ مَا قَضَيْتَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبِيعَةُ: قَدِ اجْتَهَدْتَ، وَمَضَى حُكْمُكَ. فَقَالَ سَعْدٌ: وَاعْجَبًا، أُنْفِدُ قَضَاءَ سَعْدٍ ابْنِ أُمِّ سَعْدٍ وَأُرْدُ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ أُرْدُ قَضَاءَ سَعْدٍ ابْنِ أُمِّ سَعْدٍ وَأُنْفِدُ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا سَعْدٌ بِكِتَابِ الْفَضِيَّةِ فَشَفَقَهُ وَقَضَى لِلْمَفْضِيِّ عَلَيْهِ».^١

وَعَنْ خَلْدِ بْنِ حُفَافٍ قَالَ: ابْتَعْتُ عُلَامًا فَاسْتَغْلَلْتُهُ، ثُمَّ ظَهَرْتُ مِنْهُ عَلَى عَيْنِ، فَخَاصَّمْتُهُ فِيهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَضَى لَهُ بِرَدَّهُ، وَقَضَى عَلَيَّ بِرَدَّ غَلَّتِهِ، فَاتَّبَعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبِيرِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَرُوحُ إِلَيْهِ الْعَشِيشَةَ فَأَخْبِرْهُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرْتِي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَضَى فِي مِثْلِ هَذَا: «أَنَّ الْخَرَاجَ بِالضَّمَانِ». فَعَجَلْتُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ مَا أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَمَا أَيْسَرَ عَلَيَّ مِنْ قَضَاءِ قَضَيْتُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُرْدِ فِيهِ إِلَّا الْحَقَّ فَبَلَغَنِي فِيهِ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْدَ قَضَاءَ عُمَرَ، وَأُنْفِدُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَاحَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ فَقَضَى لِي أَنْ آخُذَ الْخَرَاجَ مِنَ الَّذِي قَضَى بِهِ عَلَيَّ لَهُ».^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٣٥٢٨، وأبو يعلى في مسنده - حديث رقم: ٣٩٩٨، ولأجري في الشريعة - كتاب الإيمان والتصديق بـأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَحْلُوقَتَانِ وَأَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا وَأَنَّ عَذَابَ النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا، باب ذِكْرِ مَا نَعَتُهُمْ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْحَظْظِ الْجَزِيلِ، حديث رقم: ١١٢٧

٢ - رواه البيهقي في السنن والآثار - المقدمة، الحجحة في تبيين حَبْرُ الْوَاحِدِ، حديث رقم: ١١٧

٣ - رواه الشافعي في مسنده - كتاب الْبَيْوُعِ، باب الرَّدِّ بِالْعَيْبِ وَأَنَّ الْخَرَاجَ بِالضَّمَانِ، حديث رقم: ١٣٧٧، والبيهقي في السنن الكبير - كتاب الْبَيْوُعِ، باب الْمُشْتَرِي يَجِدُ بِمَا اشْتَرَاهُ عَيْنًا وَقَدِ اسْتَعْلَمَ زَمَانًا، حديث رقم: ١٠٧٤٢، والسنن والآثار - كتاب الْبَيْوُعِ، باب الْخَرَاجِ بِالضَّمَانِ وَالرَّدِّ بِالْعَيْبِ وَعَيْرِ ذَلِكَ، حديث رقم: ١١٣٥٩، وقال الذهبي ٤ / ٢٠٨٨: محدث فيه لين.

المحتويات

٣	مقدمة.....
٦	الفَصْلُ الْأَوَّلُ.....
٦	أَسْمَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسَبَّهُ الشَّرِيفُ وَفَضَائِلُهُ الْعَظِيمَةُ
٨	فضائل رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٨	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ:
٩	رَفِعُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذِكْرَهُ:
٩	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيلُ اللَّهِ تَعَالَى:
١٠	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ:
١٠	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلِدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
١١	يَصْعُقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ:
١٢	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْخُلُقِ كَافِةً:
١٢	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَفَاتِيحَ حَزَانِ الْأَرْضِ:
١٢	فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَفَضْلُ أُمَّتِهِ عَلَى الْأَمْمَ:
١٣	النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
١٥	صِفَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلْقِيَّةُ
٢٠	الفَصْلُ الثَّانِي
٢٠	شَمَائِلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتُهُ الْحَلْقِيَّةُ
٢٠	النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ائِمَّةُ النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ:
٢٥	مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّحْمَةُ:
٤٩	مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّفْقُ
٤٩	حُدُودُ الرِّفْقِ:

من صور رِفْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	٥١
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَيَاةُ	٦٠
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلْمُ	٦٤
تعريف الْحَلْمِ:	٦٤
الْحَلْمُ حَصْلَةٌ يُجْبِهَا اللَّهُ:	٦٦
إِنَّمَا الْحَلْمَ بِالْتَّحَلُّمِ:	٦٦
كَظُمُ الْغَيْظِ خَصْلَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلصَّابِرِينَ:	٦٧
اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا:	٦٧
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُودُ	٦٩
تعريف الْجُودِ:	٦٩
مِنْ صُورِ جُودِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	٦٩
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَدْلُ	٧٦
حدُ الْعَدْلِ:	٧٦
مِنْ صُورِ عَدْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	٧٦
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّجَاعَةُ	٨٥
حدُ الشَّجَاعَةِ:	٨٥
مِنْ صُورِ شَجَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	٨٦
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوَاضُعُ	٩٣
حدُ التَّوَاضُعِ:	٩٣
مِنْ صُورِ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	٩٣
مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبْرُ	١٠٥
حدُ الصَّبْرِ:	١٠٥

مِنْ صُورِ صَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:.....	١٠٥
مِنْ صُورِ صَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّابِرُ عَنْ مَعَاقِبِهِ:.....	١٠٦
مِنْ صُورِ صَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّابِرُ عَلَى أَذَى الْمُنَافِقِينَ:.....	١٠٦
مِنْ صُورِ صَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّابِرُ عَلَى الْبَلَاءِ:.....	١٠٧
مِنْ صُورِ صَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّابِرُ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ:.....	١٠٧
فضل الصبر:.....	١٠٨
مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِحْسَانُ حدُّ الْإِحْسَانِ:.....	١١٠
مِنْ صُورِ إِحْسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:..... الْإِحْسَانُ صِفَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ:.....	١١٠
من صور الإحسان:	١١٨
مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ.....	١٢٠
مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَاؤُهُ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ موْتِهَا:.....	١٢٠
مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَأُخْتِهِ مِنْ الرِّضَاَعَةِ:	١٢١
مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْعُهُودِ:	١٢٢
مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ مِنْ أَسْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا وَلَوْ كَانَ كَافِرًا: ...	١٢٤
مِنْ صُورِ وَفَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُ أَصْحَابَهُ بِالْوَفَاءِ:	١٢٥
مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ الْعِشْرَةِ	١٢٨
مِنْ صُورِ حُسْنٍ عِشْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ مُعَامَلَتِهِ لِزَوْجَاتِهِ:	١٢٨
مِنْ صُورِ حُسْنٍ عِشْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ مُعَامَلَتِهِ لِخَادِمِهِ:.....	١٣٠
وَمِنْ صُورِ حُسْنٍ عِشْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ مُعَامَلَتِهِ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ..	١٣١

مِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَقُّدُهُ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:	١٣١
مِنْ صُورِ حُسْنِ عِشْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُثُرَةً تَبَسُّمُهُ لِأَصْحَابِهِ:	١٣٢
مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمَانَةُ	١٣٤
حُدُّ الْأَمَانَةِ:	١٣٤
الْأَمَانَةُ أَظْهَرَ شَمَائِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	١٣٤
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَحِيهِ:	١٣٤
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَشْتَهِرُ بِالْأَمِينِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ:	١٣٥
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَعْرِفُ الْخِيَانَةَ:	١٣٧
مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَفْوُ	١٤٢
مِنْ صُورِ عَفْوِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	١٤٢
عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَيِّ عَزَّةَ الْجُنُوحِيِّ:	١٤٢
عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ثَمَامَةَ بْنِ أَنَّاَلِ:	١٤٣
عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذِي الْحُوَيْصِرَةِ:	١٤٤
عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَعْضِ مُجْرَمِيِّ الْحَرْبِ:	١٤٤
عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلَوِيِّ:	١٤٥
عَفْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ:	١٤٥
مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصِّدْقُ	١٥١
حُدُّ الصِّدْقِ:	١٥١
الصِّدْقُ مِنْ شَمَائِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	١٥١
فَضْلُ الصِّدْقِ وَمَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى:	١٥٤
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى الْحَيْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ	١٥٩
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَافُ النَّاسِ	١٦٢

.....	حدُّ الرَّأْفَةِ:
١٦٢	صورٌ من رأفة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١٦٥	مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِيَّاثَارُ
١٦٥	تعريفُ الإِيَّاثَارِ:
١٦٥	فضْلُ الإِيَّاثَارِ:
١٦٨	أثر التخلق بالإِيَّاثَارِ عَلَى الْمُسْلِمِ:
١٦٨	إِيَّاثَارُ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
١٦٩	البُرُّ أَثْرٌ مِنْ آثارِ الإِيَّاثَارِ:
١٧٠	إِيَّاثَارُ الْأَشْعَرِيَّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:
١٧١	الزُّهْدُ مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٧١	حدُّ الزُّهْدِ:
١٧١	مِنْ شَمَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا:
١٧١	علَةُ رُهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١٧٢	مِنْ زُهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَنْامُ عَلَى الْحَصِيرِ:
١٧٥	الفصل الثالث
١٧٥	واجب المسلمين نحو خاتم المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٧٥	مَكَانَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
١٧٥	مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا:
١٧٦	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ:
١٧٦	نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّغْبِ:
١٧٦	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمُحْمُودِ:
١٧٧	رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْرُ الْخَلْقِ:

رسول الله صلى الله عليه وسلم حليل الله تعالى: ١٧٧	رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٧
زكاة الله تعالى رسوله الله صلى الله عليه وسلم: ١٧٨	زكاة الله تعالى ١٧٨
وعده الله تعالى أن يرضيه: ١٧٨	وعده الله تعالى ١٧٨
رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يستفتح باب الجنة: ١٧٨	رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٨
غفر الله له ذنبه: ١٧٨	غفر الله له ذنبه ١٧٨
رفع الله له ذكره: ١٧٩	رفع الله له ذكره ١٧٩
الإيمان به صلى الله عليه وسلم وبما جاء به: ١٧٩	الإيمان به ١٧٩
طاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه و Zhuur: ١٨٠	طاعته فيما أمر ١٨٠
صور رائعة لطاعته صلى الله عليه وسلم: ١٨٠	صور رائعة ١٨٠
محبته فوق محبة الأهل والمال والولد: ١٨١	محبته ١٨١
صور رائعة لحبيب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٨٢	صور رائعة ١٨٢
كثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم: ١٨٣	كثرة الصلاة والسلام ١٨٣
متابعة النبي صلى الله عليه وسلم: ١٨٣	متابعة النبي ١٨٣
صور من متابعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: ١٨٤	صور من متابعة الصحابة ١٨٤
تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره: ١٨٧	تعظيم النبي ١٨٧
المحتويات ١٨٩	المحتويات ١٨٩